الدراسات

النشر الذي يمكن أن تتولاه الجامعات العربية

أحمد أنور عمر
أستاذ المكتبات - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

القسم الأول :

النشر الذي تتولاه الجامعات :

نعدد فيما يلي أنواعا من المطبوعات التي يمكن أن تصدرها الجامعات ضمن برامجها للنشر وسوف يرد ذكرها مرتبة وفق ما نقدره لكل نوع منها من مدى اهتمام الهيئات العلمية والجامعية بالحصول عليها:

أ ــ الرسائل الأكاديمية :

حيثما توجد الدراسات العليا/ وحيثما يقوم الباحثون من طلبة الماجستير والدكتوراه باعداد رسائلهم ثم تقديمها فتناقش فتجاز، إذن توجد مادة جديدة جدا ــ وغير مسبوقة غالبا. ومن هنا تأتي أهمية نشر الرسائل التي أجيزت، وخاصة ما توصي لجنة مناقشة أي منها بأن تطبع وتنشر على نفقة الجامعة: فهي بذلك تصبح مادة اهداء وتبادل مع الهيئات العلمية المناظرة والمشابهة، بل وقد تصبح مادة للبيع على أسس تجارية للأفراد ولمحلات بيع الكتب ــ ومن هنا يأتي تخطيط حجم الطبعة فيكون لها من الاتساع ما يغطي هذه الأغراض وقد قدرت لها أرقام التوزيع بعناية وخبرة كافية.

ومطلوب لاكمال الصورة تجميع قوائم مفصلة تعرف بالرسائل التي أجيزت فطبعت، والرسائل التي أجيزت وما زالت تحت الطبع، والرسائل التي لا زالت تحت الاعداد، ــ ولتصدر تلك القوائم سنويا أو كل سنتين، ثم يتراكم التجميع في اصدارات تغطي مدى زمنيا أطول (قد يصل إلى خمس أو عشر سنوات .. أو أكثر).

ب ــ البحوث الاخرى :

نشر البحوث التي تم انجازها (مع الاعلام عن البحوث تحت الاعداد) ولو لم يكن البحث رسالة أكاديمية ــ بل يكفي مجرد صدوره عن مركز للبحوث داخل الجامعة: بحوث تجريبية معملية (أو مختبرية)، أو بحوث ميدانية، أو دراسات في أي فرع أو مجال علمي يتولاه أساتذة أو اخصائيون أو خبراء .... الخ ولا نريد لهذه الأمثلة أن تنحى جانبا البحوث النظرية في مجالات الأدب، والدين، والفلسفة، والتاريخ، والاعلام، والفنون الجميلة ... الخ.

جـ ــ الدوريات العلمية التخصصية :

وهذه تصدر عادة عن الكليات، وعن الأقسام الدراسية، ومراكز البحوث (الطبية مثلا ــ والصيدلية ــ والزراعية ــ والجيولوجية ــ والبيولوجية ... الخ). وقد تصدر الدوريات عن محطات التجارب التي تنشئها الجامعات في مجالات : الزراعة ــ والبيطرة ــ والهندسة، والصناعة، والأحياء البحرية، ... الخ.

و ــ تقارير المتابعة :

وهذه لا نعتبرها دورية الاصدار بل تفرضها الملاحقة الاعلامية لأجل ما تستلزمه متابعة بحث جار ــ حيث تنبثق تلك التقارير أصلا من مراكز للبحوث لتخبر عما أنجز في مشروع بعينه أو تجربة بعينها وإلى أين وصل فيها الباحث أو الباحثون: نتائج، توقعات، احصائيات ... الخ.

هـ تحقيق كتب التراث ثم نشرها :

وذلك سواء تم التحقيق من مخطوطات ــ أو من طبعات قديمة تحتاج إلى تصحيح يسبق إعادة الطبع ــ أو أضيفت إليها شروح أو حواشي أو دراسات عنها ولم تكن تحظى بها من قبل.

و ــ الوثائق الجارية للجامعات :

من أمثلتها التقاويم السنوية ــ والتقارير السنوية ــ والاحصاءات. وهذه الأنواع الثلاثة معظمها حولية الاصدار. وإن كانت التقارير والاحصائيات ممكن أن تصدر على فترات أقصر من سنة. ثم تأتي الأدلة والنشرات الاعلامية عن الجامعة، أو عن مشروعات بعينها تتم داخل الجامعة. ومن الأنواع التي قد تنشر داخل هذه الفئة وثائق عن تاريخ الجامعة وانجازاتها في الماضي .. الخ.

ز ــ سلاسل نشرات : (Pamphlets)

وقد تسمى النشرات في اللغة العربية «كراسات» مطبوعة.

وقد تصدر السلاسل على شكل كتيبات (والكتيب أكبر حجما من النشرة/ من حيث عدد صفحاته) بل وقد تتكون السلسلة من كتب.

وهذه تصدرها تباعا بعض الأقسام الدراسية، أو الجمعيات العلمية التي تتشكل داخل الجامعات، أو المؤسسات العلمية الجامعية من غير الكليات مثل: متحف الجامعة، أو مرصد الجامعة، أو مركز الحساب العلمي (أو الحاسبات الألكترونية)، أو مكتبة الجامعة، أو ادارة رعاية الشباب .. الخ وغني عن الذكر أنه لا يشترط وجود كل هذه المؤسسات أو الهيئات داخل كل جامعة.

ورغم انتظام اصدار أجزاء تلك السلاسل على فترات حددت بشكل مسبق إلا أنها لا تمثل نوعا من الدوريات ــ كما أنها تختلف تماما عن تقارير المتابعة التي ذكرتها في البند (د) أعلاه. بل هي مجرد مفردات في سلسلة ناشر ليس بين أجزائها أكثر من رابطة تشابه المجال الموضوعي الذي تنضوي تحته. فهي إذن «منفردات» Series of monographs أي سلسلة مؤلفات مستقلة ومنفصل كل منها عن الآخر : سلسلة ناشر، والناشر في هذ الحالة هو الجامعة أو هيئة تتفرع عنها.

ح ــ الكتب الدراسية للطلاب :

وأرى أن هذا النوع يجب أن يأتي هنا في نهاية قائمة أنواع المطبوعات الجامعية، لأن اضطلاع الجامعات بنشره يمثل اضطرارا لسد فجوات قد تنجح وقد لا تنجح في تغطيتها دنيا النشر التجاري. فليس عمل الجامعات فيما أرى هو نشر الكتب الدراسية التي قد تعوق برامج نشر البحوث الأصيلة: نشر التجارب، والتقارير، والرسائل ــ أي النشر الذي يبرز دور كل جامعة فيما تضيفه فعلا إلى

حصيلة المعرفة المتخصصة في بعض مجالاتها، ثم تتبع النشر بالتوزيع مستهدفة اعلاما علميا عن حقائق جديدة تترقبها الأوساط العلمية المناظرة، بل وتطلبها في ملاحقة وتجميع حريصين.

ورغم كل هذه الأنواع التي ذكرتها أعود فأقول إنه ليس من المطلوب أن تنشر كل جامعة مطبوعات تصدرها في هذه الأنواع مجتمعة — بل إنها مجرد أمثلة أقرب إلى الحصر. ونحن ننتظر من كل جامعة أن تمعن في دراسة امكانيات النشر من جانبها بهدف الابقاء على نتاج جهد بذل فأثمر، وبهدف التعريف بهذا النتاج عن طريق الاعلام البيليوجرافي عنه، ثم تنظيم جميع مسالك توزيعه سواء بالتبادل أولا، أو بالبيع ثانيا، أو بالاهداء ثالثا. — ومن هنا تأتي برامج النشر في الجامعات.

القسم الثاني :

برمجة عمليات النشر في كل جامعة :

من المقترح أن تضع كل جامعة لنفسها برنامجا للنشر ترتب فيه الأولويات، أو الأسبقيات على أسس صلبة مقنعة. ومن الأفضل أن يتم ذلك في لجان لها من الكفاية وسلامة التقدير ما يضمن للتنفيذ أن يسير على هدى سياسة مدروسة: فمثلا في ترتيب نوعيات المطبوعات التي تصدر عادة عن الجامعات رأى واضع هذه الدراسة الحالية أن يجعلها تتتابع بالشكل الذي وردت به في النقاط من (أ) إلى (ح) أعلاه. ولعل رأيا غيره يرتبها فيما بينها بطريقة أخرى، أو يضيف إليها أو يحذف منها وفق مبررات تسند ما يراه في تخطيط مدروس ومثبت في برنامج يلتزم به إلى أجل محدد ومعلوم.

كما أن تخطيط الانفاق عند النشر تدخل فيه اعتبارات مالية كثيرة جدا مثل: آلات الطباعة، وأجورها، وخاماتها، والعاملين فيها، — ثم مكافآت التأليف أو الترجمة أو التحقيق أو الشرح أو المراجعة، — ثم التجليد أو التغليف، ثم الاختزان، — ثم الاعلام البيليوجرافي الذي يسبق التوزيع أو يصاحبه .... الخ.

كما أن البرنامج الخاص بالنشر قد ترسم فيه الصلات العلمية العربية التي تدعو إليه وتستوجبه، أو التي قد تنبثق عنه وتعزز أثره (وهذه الصلات العربية تأتي أولا) — ثم تتلوها الصلات العلمية العالمية وما قد تستتبعه من اتجاهات في التأليف ثم النشر، وما تحدثه من أثر في سياسات التوزيع (تبادل/ أو اهداء/ أو بيع).

إذن فعند الطبع والنشر هناك **تخطيط للأولويات** في سياسة مدروسة ومقررة، ولو كان مدى هذه السياسة قصيرا فلا يزيد عن سنة، أو أطول فيشغل عدة سنوات. بل وأكثر من ذلك نقول: ولو كان الطبع يتم خارج مطابع الجامعة نفسها — أي في مطابع هيئات أخرى حكومية، أو تجارية — ولكن لحساب الجامعة وعلى نفقتها وتحت اسمها.

وعند التوزيع هناك أولويات في التبادل وفي الاهداء بحيث لا يتم أي منهما بشكل عشوائي، كما أن البيع يمكن بل يجب أن ينتظمه برنامج مدروس وضع بعد تخطيط يدرك عن الاستهلاك ومطالب القراء مثل ما يدركه ناشر تجاري متمرس. والمثل يمكن أن يقال عن انتاجنا العربي بلغات غير العربية: سواء في ذلك أن نترجم ما كتبناه من العربية إلى لغات أخرى حية ومتداولة، أو أن نكتب من البداية بلغات أجنبية فهذه مسائل تحتاج إلى تخطيط طويل الأجل له أسبابه ومبادؤه وأسبقياته.

أما عن الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية فهذه مسألة مفروغ منها — ولها أهميتها القصوى في كل المجالات تقريبا، ونرى وجوب التوسع فيها على أيدي متخصصين تنتظمهم هيئة تتبع الجامعات فرادى، أو تتبع المجلس الأعلى للجامعات في كل دولة عربية على حدة، أو يتبع وزارة التعليم العالي لكل دولة، أو يتبع اتحاد الجامعات العربية. وهنا ننوه بضرورة العناية بتأصيل المصطلحات التخصصية استمرارا للجهود المباركة «لمركز تنسيق التعريب» التابع لجامعة الدول العربية فإذا اتجهت الجهود بعد ذلك إلى ترجمة النصوص والكتابات العلمية (رسائل/ وكتب/ وبحوث/ ومقالات/ ودراسات/ ونشرات/ وتقارير ... الخ). إذن يمكن أن نتوقع برامج تنفيذية طموحة تتجه إلى نقل كل ما من شأنه اثراء مخزوننا العربي من الانتاج العلمي المنقول أيا كان مصدره.

ولا يقل أهمية عن الترجمة نفسها أن نعني بتجميع ما يترجم في قوائم ببليوجرافية شاملة تحصره لأجل الاعلام البيليوجرافي

المتابع عنه، سواء نتجت الترجمة أصلا عن جهود ترعاها الجامعات، أو يقوم بها أفراد، أو تراعاها هيئات أخرى بعضها على الأقل تجاري بحت.

حين ينعدم وجود برنامج للنشر :

حين لا يتم النشر إلا في مناسبات فردية متفرقة، فيسير بطريق عرضي عفوي، أو حين يتم وفق مبادىء عريضة فضفاضة تنتظمها لائحة نصوصها أعم من أن تفصل حالات المضمون/ والشكل/ والتوقيت/ لكل ما يراد نشره وفق أحكام قاطعة صدرت عن خبرات ثرية، ــ حينئذ سوف نصادف بعضا من الظواهر التالية ، وكلها ظواهر مرض أو علة في تنظيم أجهزة أي جامعة:

(١) الطبع التجاري بالأجر : الذي ربما تولته مطابع بعض الجامعات لصالح هيئات غير جامعية، أو لصالح أفراد بصفتهم الشخصية لا أكثر. ــ وقد لا يعني هذا النوع من النشر اتساع امكانيات المطابع بحيث تستوعب ما يقصدها من أجله أناس من خارج نطاق الجامعة واهتماماتها، بل قد يعني افلاسا في الانتاج العلمي من جانب الجامعة، أو يعني تسيبا في تقدير القيم الأعلى والأحق بالسبق في الطبع والنشر. لأننا لا نتصور جامعة لا بحث فيها ولا انتاج، ولا مساهمة في الجهد العلمي على مستوى الوطن أو على مستوى التخصص على اطلاقه.

(٢) النشر للمناسبات :

وهو نشر غير برنامجي: كأن يتتابع طبع البرامج لحفلات ــ أو تذاكر الدعوة لمحاضرات عامة، أو ندوات، أو مناقشة رسائل ــ أو أدلة ملونة ومزخرفة تجمع في تسرع ملحوظ وتفتقد أرقامها واحصاءاتها إلى التحليل أو التفسير لكي توزع في مناسبات أقرب إلى المفاجأة منها إلى التخطيط. وإن شغل مطبعة الجامعة وأجهزتها للنشر بمثل هذه الأنواع يضعها في خدمة طموحات فردية ومناسبات صغيرة يمكن القول بأن بعضها علمي، وبعضها رياضي، وبعضها ثقافي أو اجتماعي ــ وكثير منها تبدو فيه روح الافتعال للمناسبة أو الفرصة للحفل أو اللقاء لاشباع منافسات بين أقسام دراسية، أو بين كليات أو بين «الأسر الطلابية» (حين يوجد نظام الأسر)، أو بين جمعيات ثقافية بين الطلاب تنتج مجلات من الأفضل لها أن تراجع وتراجع قبل أن تنشر.

وهذا النوع من النشر لا يكفي عادة للاقناع بما يستهلكه من الجهد أو المال أو الخامات أو وقت العمل من جانب المطبعة ــ وإنما يصبح الجهد مقنعا حين توضع برامج انتجت جماعيا، وأعلنت فالتزمت بها الجهات المعنية بالنشر أو بالطبع أو بالتوزيع. والعبرة أولا وأخيرا بالأثر الذي تتركه مطبوعات الجامعة لتدل على أنها جهة علمية تفكر فتنتج،ثم تكمل رسالتها نشرا وتوثيقا، ثم توزيعا وتعريفا.

(٣) تداخل عمليات التجليد بما يعوق عمليات النشر:

وهذا التداخل يتضح في الأمثلة التالية:

أ ــ أن تشغل المطبعة ومعمل التجليد بصنع بطاقات مطبوعة للفهارس، أو بصنع دفاتر للسجلات من كل نوع، أو البطاقات الشخصية للطلاب/ ومنسوبي الجامعة / والمستعيرين من مكتباتها (الكارنيهات).

ب ــ أن يشغل معمل التجليد بصنع الملفات/ وصناديق حفظ النشرات، وحفظ الدوريات وكتالوجات الناشرين/ بل وصنع أطقم من الكرتون تزين بها المكاتب (مكسوة بالجلد أو القماش أو المشمع.. الخ ومذهبة أحيانا).

جـ ــ صنع التقاويم والنتائج الحائطية، ونتائج المكتب، والمفكرات (أجندة) وصنع الظروف بكل أشكالها وأحجامها/ وأوراق الامتحانات وأغلفتها .. الخ.

ونحن لا نعيب على مطابع الجامعات ولا على معامل التجليد بها أن تقوم بهذه الأعمال. ولكن في غيبة

برنامج للنشر قد تشغل هذه الأغراض الجانبية من الوقت والجهد اللازمين لتجليد أو حتى لتغليف مطبوعات الجامعة نفسها فور صدورها/ أو لتجليد أو لترميم بعض المواد المضافة حديثا لمكتباتها، / أو لاعادة تجليد مجلدات أتلفتها أو استهلكتها جزئيا كثرة الاستعمال لأغراض جادة مثل (المراجع في قاعات المطالعة، أو في قسمى التزويد والفهارس.. الخ).

تشغل من الوقت ما كان يمكن توفيره واستثماره.

إذن مطلوب التنسيق بين برنامج نشر ملزم، وبرنامج طبع يستوعبه، وبرنامج تجليد وصيانة قادر على خدمة المطبوعات الجديدة، وخدمة اهتمامات المكتبات الجامعية حيال ما تحرص عليه من بين مجموعاتها.

القسم الثالث :

مطبوعات الجامعات لأجل الاعلام البليوجرافي:

لم نستنفد بعد كل النوعيات التي يمكن أن تدخل في عمليات النشر من جانب الجامعات. فكل جامعة عربية تملك أن تبذل عناية متزايدة نحو الاعلام عما تنتجه من مؤلفات، وعما تملكه من مطبوعات ومخطوطات، وعما تعرضه للتبادل مع الجامعات والهيئات العلمية الأخرى. بل وأكثر من ذلك قد تسهم بعض الجامعات العربية بجهودها البليوجرافية النشطة في الاعلام عما يؤلف فينشر داخل دولتها (بصرف النظر عن الهيئة أو المؤسسة أو الجهود الفردية التي أنتجته فأصدرته). وإن مثل هذا الجهد البليوجرافي سوف يحتاج إلى تخطيط مدروس، ثم تنظيم ملزم، ثم ضمانات لاستمرار الدوري والمتتابع من القوائم والفهارس والكتالوجات.

وإن من أنواع البيليوجرافيات المطلوبة :

(١) فهرس مقتنيات المكتبات الجامعية :

وهذه بيليوجرافيا حاصرة لما تملكه مكتبة كل جامعة من مجموعات أيا كان المصدر الذي أتت منه تلك المقتنيات في الماضي أو في الحاضر. وهذه الفهارس سوف تتناول مجموعات مكتبة الجامعة من الكتب ــ والدوريات والخرائط ــ والأفلام ــ والمسجلات، والرسائل الأكاديمية (ولو كانت قد صدرت أصلا عن جامعات أخرى). ويستحسن أن يعني التخطيط من جانبنا بدراسة الأنماط التنظيمية لهذه البليوجرافيات من حيث اختيار المداخل، وعناصر الوصف البيليوجرافي، والترتيب،والكشافات، والرموز المستعملة ... الخ . ولنحاول أن تتقارب التطبيقات المتبعة أو تتشابه، أو تتوحد بعد دراسة مقارنة، وبعد تجريب ونقد، ثم ترجيح ينتهي إلى تقنين.

(٢) قوائم الاضافات الجديدة :

وهذه بيليوجرافيا جارية للاضافات الجديدة لمكتبة الجامعة. وقد يتبع حيالها ترتيب يجزئها على أسس مختلفة مثل:

(أ) أشكال المواد: كتب/ دوريات/ نشرات / خرائط/ أفلام/ تسجيلات.

(ب) موضوعات المواد : مرتبة هجائيا برؤوس الموضوعات/ أو تصنيفيا بالرؤوس/ أو بالأرقام.

(جـ) استعمالات المواد : الكتب الدراسية/ المراجع/ الكتب النادرة/ الأفلام التسجيلية/ الأفلام الاخبارية.

ولعل أفضل وسائل ترتيب قائمة الاضافات الجديدة هو الترتيب الموضوعي المصنف الذي يتفق عادة مع طريقة القارىء في البحث عما اقتنته المكتبة حديثا في مجالات يهتم بها ويتابع ما يجد عليها. ولكن يشترط لاتباع هذا النمط أن يكون قراء القوائم ملمين بنظام التصنيف المتبع في المكتبة.

(٣) البيليوجرافيات الراجعة : التي تهتم بكتب التراث،/ وبالمخطوطات ، / وبالطبعات القديمة والنادرة، / وبعصور بالذات ومؤلفاتها ومطبوعاتها من كتب ودوريات ... الخ.

وهذه الأنواع من مقتنيات أية مكتبة من الممكن أن تشملها الفهارس الحصرية الكاملة للمقتنيات داخل المكتبة (انظر رقم ١ أعلاه). ولكن الذي يعنينا هنا هو امكانية عزلها في قوائم مستقلة تعني احداها مثلا بالمخطوطات — أو تعني أخرى بأوائل الطباعة .. وهكذا. وهذا سوف يعطي الباحثين في الجامعات الأخرى أدوات ببليوجرافية تيسر البحث والتنقيب، ومن ثم الايجاد، ومن ثم الاستنساخ المصور لمواد قد يتعذر عليهم الحصول عليها من أي مصدر آخر.

(٤) **نشرات متتابعة للتكشيف والاستخلاص:**

التكشيف والاستخلاص كلاهما توثيق متتابع ومستمر. ويوجد بين الجامعات العربية، وبين مراكز البحوث العربية من يعنى بهما في عمليات تحليل المعلومات ثم ادراجها (أي تسجيلها) ببليوجرافيا لاختزانها، ثم استرجاعها بطرق منهجية سهلة عند الحاجة اليها. وإن مثل هذه الجهود التحليلية ألزم ما تكون في مجالات التخصص والبحث والمتابعة — فتتناول مقالات دوريات علمية متخصصة، أو انتاجا متتابعا من أي نوع (بحوث/ دراسات/ تقارير/ نشرات/ رسائل). وقد يجيء الجهد من جانب الجامعة متمثلة في مكتبتها، أو في معهد تخصصي بها، أو في مركز بحوث نشط .. — بل وقد يتسع الجهد فيمثل تعاونيا عددا من الجامعات تعمل معا فيخرج انتاجها البيبليوجرافي على شكل نشرات دورية تصدر على فترات قصيرة نسبيا (شهرية/ كل شهرين/ أو فصلية مثلا) ثم تدمج التجميعات القصيرة بعد ذلك في «تراكمات» أكبر Cumulations تغطي فترات أطول وتشغل مجلدات أكبر.

وأيا كان مركز النشاط الببليوجرافي الذي تصدر عنه هذه النشرات الببليوجرافية الجارية، فالمهم هو أن هذه الأعمال التوثيقية المدروسة، والمتخيرة، والهادفة سوف تحفظ من الاندثار ومن النسيان آثارا علمية نريد لها أن تبقى:

أ — **بعضها عربي** وهذا جانب هام نريد اليوم أن نعرف الغير به وهو ما زال جديدا — ونريد غدا أن نجده بسهولة فلا نضيعه.

ونريد بعد غد أن نؤرخ به نتاج البحث والفكر والكشف في جامعاتنا العربية.

ب — ولكن التوثيق قد يذهب إلى أبعد من نطاق انتاجنا العربي — فيتناول بالتكشيف والاستخلاص مواد أنتجت **بلغات غير العربية وبأيد غير عربية**. وسوف تكون نتيجة ذلك اعلاما ببليوجرافيا نرحب به حين يصدر عن الجامعات (أو جهات لها من الوزن الأكاديمي مثل ما للجامعات)، وذلك خدمة لبحوثنا ولباحثينا، وسوف نتابع ما يصدر فيه أولا بأول حرصا منا على يقظة التعرف على ما يعنينا من بينه.

(٥) **حالات استثنائية لأنشطة ببليوجرافية أخرى:**
حين تصبح مكتبة الجامعة هي «مكتبة الدولة»:

تقوم المكتبة المركزية لإحدى الجامعات الرئيسية في بعض الدول العربية بدور اضافي بالغ الأهمية. فبجانب كونها مكتبة كبرى الجامعات في الدولة، تتحمل أيضا مسئوليات «مكتبة الدولة» أو «دار الكتب الوطنية»، أو «المكتبة القومية» — فتحمل نتيجة لذلك عبئا جديدا في النشر والاعلام البيبليوجرافي بجانب أعبائها الأخرى في جمع المطبوعات وإعدادها، وفي الارشاد المرجعي، وفي القيادة التخصصية بين المكتبات في تلك الدولة.

ولسنا الآن بصدد تقويم هذا النمط من ادماج وظائف مكتبة الدولة (أي المكتبة الوطنية) داخل الوظائف العادية لمكتبة الجامعة الرئيسية في الدولة ولكن نريد أن نسجل فقط أن هذا الدور المزدوج سوف يضع على كاهل مكتبة الجامعة ضرورة الاهتمام بجوانب إضافية من النشر البيليوجرافي مثل:

(أ) **البيليوجرافيا الوطنية** الحاصرة لكل ما ينشر في الدولة (أو لأهم ما ينشر في الدولة) من مطبوعات، أو لما يتم ايداع نسخ منه بأعداد محددة بمقتضى تشريعات خاصة داخل

مكتبة الدولة. فهذه الببليوجرافيا الوطنية قد يحق لنا ولغيرنا أن ننتظر صدورها (بتخطيطها الكامل، وباصداراتها المتتابعة، ووفق أنماط متواترة) — ننتظر صدورها عن مكتبة الجامعة التي تقوم بدورها بديلا كفؤا عن دار الكتب الوطنية في حالة عدم وجود هذه الأخيرة.

(ب) **دليل بالمطبوعات الدورية والمسلسلة التي تصدر** في الدولة. وقد يعني هذا الدليل بتقديم صورة وصفية دقيقة لكل من المفردات التي يدرجها (من صحف ومجلات — ودوريات علمية — وحوليات — وتقارير — وتقاويم — وأدلة ... وغيرها من أنواع المتتابعات). وعلى ذلك يصف خصائص الدورية/ وحجمها/ وطريقة تتابع اصداراتها/ ومكونات المجموعة الكاملة منها/ وعنوانها البريدي/ وقيمة الاشتراك / وثمن العدد/ وربما بيان عن الكشاف أو الكشافات التي تحلل محتوياتها. — وهذا الدليل يصدر سنويا في معظم الحالات، أو على الأقل مرة كل سنتين.

وفي دول أخرى، وظروف أخرى قد تصدره دار نشر تجارية، أو تتولاه المكتبة الوطنية (مكتبة الدولة) حين توجد مستقلة تماما عن أي جامعة. ولكن في حالة قيام مكتبة إحدى الجامعات الرئيسية بكل الأعمال المنتظرة أصلا من مكتبة الدولة إذن فعلينا أن ننتظر منها هذا العمل الببليوجرافي.

* * * * *

والآن وقد عرض هذا البحث لدور الجامعات في النشر الأكاديمي، ينتقل إلى أنشطة أخرى لها طابعها التعاوني في اقتسام مصادر المعلومات بين الجامعات — وهي:

١ — تبادل المطبوعات بين الجامعات.

٢ — تبادل الاعارة بين مكتبات الجامعات.

٣ — الاستنساخ المصور لما لا يعار.

ورغم تعدد هذه الأنشطة، يرى كاتب هذا البحث أن أولها (أي تبادل المطبوعات بين المكتبات) هو أحقها بالدراسة داخل إطار بحثنا الحالي لصلته الوثيقة بالنشر الجامعي.

اما عن تبادل الاعارة للكتب وغيرها من أوعية المعرفة بين المكتبات، فهذه مسألة قد لا تحتاج منا إلى تفكير طويل، فهي ميسورة التطبيق. وكل ما نحتاج إليه لضبطها هو عدد من القواعد في لائحة تلتزم بها وتحتكم إليها جميع المكتبات التي تسمح بتحريك مفردات قليلة من مقتنياتها فيما بينها ذهابا وجيئة: معارة ثم مردودة.

وهذه القواعد تتعرض لمسائل مثل:

أ — أنواع المواد المسموح باعارتها.

ب — أنواع المواد الممنوعة من تبادل الاعارة.

ج — مدة الاعارة للمكتبات.

د — ضمانات الاستعمال الحريص للمواد المعارة تحت مسئولية المكتبة المستعيرة.

هـ — التعويضات التي تتقاضاها المكتبة المعيرة من المكتبة المستعيرة في حالات الإضافة أو الاتلاف لما يعار.

و — مواصفات التغليف الجيد بما يكفل سلامة المطبوع عند إرساله في أي من الاتجاهين.

ز — تحديد المسئول عن تكاليف الارسال في أي من الاتجاهين .. وهكذا نرى أنها كلها مسائل إدارية بحتة وأبسط من أن نطيل فيها السرد أو النقاش.

وأما عن الاستنساخ المصور لما لا يعار فان الجانب الفني فيه هو ما آمل أن تكون قد غطته بكفاية واحدة أو أكثر من الدراسات التي قدمت لهذه الندوة حول الأجهزة والعمليات التكنولوجية في أعمال المكتبات الجامعية وفي خدماتها. وما يتبقى بعد ذلك هو الجانب الاداري البحت في تنظيم الاستنساخ لكي يؤدي بكفاية مثل :

أ — تحديد النصوص باشارات ببليوجرافية دقيقة.

ب — تحديد الحجم المطلوب للصفحات عند التصوير.

ج — تحديد عدد النسخ المطلوبة.

د — طريقة الارسال بما يكفل المحافظة على سلامة النص المستنسخ ووضوحه.

هـ — طريقة حساب التكاليف والسداد.

والمثل يمكن أن يقال عن الاستنساخ مع التصغير:

كالميكروفيلم، والميكروفيش، والميكروبرنت، والميكروكارد... الخ . وغني عن الذكر أن البحث عن النصوص التي «نشرت» أو «أعيد نشرها» عن طريق التصوير (سواء بحجمها الأصلي — أو مصغرة) سوف يفرض على المكتبات الجامعية ومكتبات البحث المعرفة الوثيقة بالببليوجرافيات والفهارس التي تعرف بما تم تصويره، أو تصفه، أو تختصره في مستخلصات تجيد عرض محتواه. وإن مثل هذه المعرفة الببليوجرافية والمرجعية مسلم بأهميتها بين من يتعاملون مع المستنسخات التي تعرضت لتكرار النسخ فيما يشبه الطبعات عند نشرها وتوزيعها تجاريا.

والآن لنعد إلى موضوعنا الأصلي :

القسم الرابع :

تبادل المطبوعات بين الجامعات :

عند الدعوة لهذا النوع من التبادل الأكاديمي يجمل بنا أن نحذر من تطبيقه في آلية تكاد تكون غير واعية — بمعنى أن ينتهي الأمر إلى أن تتلقى كل جامعة تقريبا معظم ما تنتجه غالبية الجامعات الأخرى. فليس من الصواب أن أزحم الغير بكل ما أملك تصديره إليهم في أكداس من ورق تضمها لفافات وطرود متلاحقة. بل من الأجدى علميا واعلاميا أن يكون التبادل انتقائيا فلا يرسل إلى مكتبة متعاونة إلا ما اختارته فطلبته.

ولذلك فالأساس هو أن تنتج كل جامعة قوائمها للتعريف بما تعرضه للتبادل. وهنا نلتقي بنوعين من القوائم:

(١) النوع الأول: **قوائم للكتب الجديدة والجارية** مما أصدرته مكتبة الجامعة — أو أصدرته الجامعة نفسها — أو أصدره أي فرع من فروعها ثم يعهد للمكتبة المركزية بتبادله. والخصائص التي يتميز بها هذا النوع من القوائم لا تختلف كثيرا عن خصائص الفهارس الجيدة للنشر التجاري، حيث يتعين على القوائم أن تكون مكتملة من حيث عناصر الوصف الببليوجرافي لكل مطبوع، والشروح أو الحواشي الكافية للتعريف بما تعرضه شأنها في ذلك شأن قوائم الناشرين التجاريين. كما يشترط أن تكون متجددة فتبين الكتب التي تحت الطبع، والكتب التي نفدت، والكتب التي ظهرت حديثا. والأفضل أن تحدد فيها أثمان الكتب الجارية والجديدة — وذلك تيسيرا على المكتبات الأخرى المتبادلة أن تجد أساسا معقولا لتكافؤ القيمة المادية بين ما ترسله وما تستقبله على سبيل التبادل والتكافؤ ضمان مقبول لاستمرار التبادل بين المكتبات.

وطبعا ما قيل هنا عن الكتب قد ينطبق أيضا على الأنواع الأخرى من المطبوعات التي تملك مكتبات الجامعات التصرف فيها بالتبادل.

(٢) والنوع الثاني من قوائم التبادل هو :

قوائم الكتب المستغنى عنها التي تصدرها عادة المكتبة المركزية للجامعة لأجل التعريف بما تعرضه من المطبوعات المستغنى عنها مما كانت تملكه بين مجموعاتها، أو بين مجموعات أي من فروعها ثم استبعدته لعدم حاجتها إليه فعرضته للتبادل مع المكتبات الأخرى. وهنا تأتي الأفضلية والأسبقية لمكتبات الجامعات الأخرى باعتبارها الأحق بتلقي هذا النوع من قوائم التعريف بالمتاح وذلك حتى نحيل ما نعرضه للتبادل إلى قيم ايجابية حين يسد حاجة علمية لدارس أو لباحث يقرؤه. ولتكن نظرتنا إلى التبادل هي اعتباره **مصدرا للتزويد** للمكتبات الجامعية — بمعنى أن نجعله سبيلا للحصول على مطبوعات جيدة بدلا من أن نجعله مجرد طريقة **للتخلص من مطبوعات** مستغنى عنها. وبذلك نهتم بنوعية ما نستقبله وبمستوى محتواه بوصفه إضافة جديدة لمحتويات مكتباتنا.

حاجة مكتباتنا الجامعية والمتخصصة إلى التبادل التعاوني:

اتفاقيات التبادل الثنائي بين مكتبة وأخرى معروفة ومطبقة في مكتبات جامعاتنا العربية منذ زمن بعيد. ولكن الجديد المطلوب البت فيه هو : ما مدى إمكانية وضع برنامج أو أكثر للتبادل

التعاوني بين مكتبات التخصص الواحد داخل جامعاتنا العربية مكتبات الطب فيما بينها، ومكتبات الهندسة فيما بينها، ومكتبات التربية فيما بينها، وكذلك الحال بالنسبة لمكتبات الآداب، والاقتصاد والتجارة، والزراعة والعلوم، والعلوم الاجتماعية .... الخ.

(أ) سوف نحتاج إلى هذا التبادل التعاوني بالنسبة لما قد يعرض من كتب قديمة، أو طبعات نفدت، أو مواد نادرة (سواء كتب/ أو دوريات/ أو مسلسلات/ أو متتابعات... الخ).

(ب) وسوف نحتاج إلى وضع مقاييس ملزمة لأسبقيات التوزيع حين تتعدد الجهات الراغبة في تلقي ما يعرض.

(جـ) كما نحتاج أيضا إلى وضع ضوابط تضمن للجامعات المتبادلة نوعا من التكافؤ فيما تتبادل به ـــ وبالطبع ليس الثمن هو الأساس الوحيد، وخاصة في حالة الكتب القديمة أو المستغنى عنها.

والتبادل التعاوني المقترح يبدأ عادة في نطاقات اقليمية محدودة، وبين مكتبات تتقارب مقارها نسبيا. ولعل دائرة التعاون تتسع بعد ذلك بالتدريج.

واجراءات التبادل وسجلاته بسيطة وسهلة وليست مما يستعصى على الدرس أو التعديل ثم التجريب ثم التعميم، ضمانا لوحدة التطبيق بين الجامعات العربية. ويمكن لاتحاد الجامعات العربية أن يصدر لوائح في كتيبات أو نشرات يضعها أخصائيون من بين المكتبيين العرب، أو من بين القائمين بتدريس علوم المكتبات ليرجع إليها أمناء المكتبات عند الحاجة. ويمكن لهذه اللوائح أن تتضمن قواعد تنص على الطريقة الموحدة التي تسترشد بها المكتبات المتعاونة في الحالات التالية :

(١) الشكل المادي والاخراج الطباعي لقوائم الاعلان عما تعرضه .

(٢) الكم المدرج من العناوين المعلن عنها في كل قائمة .

(٣) تنظيم توقيت اصدار القوائم بما يكفل اعلاما متتابعا سهلا .

(٤) طريقة صياغة النص البليوجرافي للمفردات المعروضة في تلك القوائم .

(٥) كيفية إعلان كل مكتبة عن التوعيات والتخصصات التي ترغب في الحصول عليها عن طريق التبادل .

(٦) إيجاد مقياس مقبول لتحديد المكتبة الأحق من غيرها بتلقي مطبوع عرض للتبادل فكثر عليه الطلب .

(٧) تحديد مستويات التغليف الواقي للطرود المشحونة بالمواد المرسلة على سبيل التبادل .

(٨) تحديد أي الجانبين يتحمل تكاليف نقل المواد المتبادلة إلى الجهة المستقبلة.

.... وهكذا ،،،

* هذه الدراسة قدمت إلى ندوة: «ميادين التعاون وتبادل الخبرات في مجال تبادل الوثائق والمطبوعات والبحوث الجامعية» التي عقدت في وهران بالجزائر خلال الفترة من ٢٤ــ٢٦ مايو ١٩٨٢م.

العجـز في القـوى العاملـة وتأثيره على خـدمـة الكتـاب

علي إبراهيـم النملـة
أستاذ مساعد – قسم المكتبات والمعلومات
كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

تقديــم :

تعاني منطقة الخليج والجزيرة العربية نقصاً واضحاً في القوى العاملة، سواء منها القوى العاملة المؤهلة وغير المؤهلة علمياً وفنياً. هذا النقص يضفي آثاره على جميع قطاعات الحياة في المنطقة المذكورة، إذ النقص في القوى العاملة ليس مقصوراً على قطاع خاص أو فن خاص من فنون المعرفة. وقد كتب الكثير عن هذه الظاهرة الملازمة، ولعل نظرة سريعة إلى إحصائية العرض والطلب في السنين ما بين ١٣٩٠ – ١٤٠٠ (جدول رقم (١)) تعطي فكرة عن الزيادة والنقص مع الزيادة في الاصرار على التنمية والنهوض المتسق:(١)

جدول رقم (١)

السنة	العرض	الطلب	النقص أو الزيادة	النسبة
١٣٩٠	١٣٢٨٠٠٠	١١٠٣٨٠٠	+٢٢٤٢٨٨	١٦,٨٪
١٣٩٥	١٦٠٠٠٠٠	١٥٢٢١٠٠	+٧٧٩٠٠	٤,٨٧٪
١٤٠٠	١٨٩٥٠٠٠	٢٣٣٠٠٠٠	–٤٣٥٦٠٠	١٨,٧٪

ونظرة سريعة إلى ما بعد ١٤٠٠ هـ تعطي فكرة أوضح عن الفرق بين العرض والطلب والنسبة بينهما متمثلاً ذلك في الخطة الخمسية الثالثة والتي يتوقع الانتهاء منها في نهاية عام ١٤٠٥هـ (جدول رقم (٢)).

جدول رقم (٢)

العرض والطلب على القوى العاملة ١٤٠٠ – ١٤٠٥ هـ بالآلاف	
الطلب الجديد على العمالة المدنية	
القطاعات الانتاجية (باستثناء الزراعة والبناء والتشييد)	٧٨,٠
قطاع الخدمات (بما في ذلك الدولة)	٢٢٢,٠
قطاع النفط	١٠,٠
الجملة	**٣١٠,٠**
القوى البشرية المعروضة للوظائف الجديدة	
سعوديون	٢٣٦,٠
غير سعوديين (مهرة)	٧٤,٠
الجملـة	**٣١٠,٠**

المصدر : خطة التنمية الثالثة ١٤٠٠ – ١٤٠٥ ص ٩٨.

هذا النقص الملحوظ في جميع القطاعات يظهر وضوحه عند الحديث عن المكتبات ومراكز المعلومات وعلومهما، إذ أن الحديث عن المكتبات ومراكز المعلومات يشمل الحديث عن المكتبات العامة، والمكتبات الجامعية، ومكتبات المدارس، والمكتبات المتخصصة، ومكتبات المساجد، بالإضافة إلى تعدد مراكز المعلومات وعدم اقتصارها على تصنيف معيَّن. فهناك مراكز معلومات وأبحاث في معظم القطاعات مثل: مركز المعلومات بوزارة المعارف، ومركز الملك عبدالعزيز للبحث، ومركز أبحاث الحج، والمركز الوطني للعلوم والتقنية (التكنولوجيا) وغيرها من المراكز المتعددة الأغراض والتي تتوالى بين الفينة والأخرى.

ولعل النقاش حول النقص في القوى العاملة هنا يقتصر عليه في بيئة المملكة العربية السعودية، مع ملاحظة أن النقاش وعرض المشكلة والحلول المقترحة قد ينطبق على أكثر من بيئة خاصة منها بيئات الخليج العربي التي تشارك المملكة العربية السعودية هذه المشكلة من قريب أو بعيد . والجدير بالذكر أن الحديث عن الكتاب يشمل جميع أوعية المعلومات كما أن الحديث عن المكتبات يشمل جميع أنواعها كما يشمل الحديث عن مراكز المعلومات.

العجز والمكتبات :

كانت فكرة المكتبات قائمة على كون المكتبة مستودعاً لتخزين الكتب وتصنيفها بطريقة قد يعتمد في بعضها على التصنيف العشري غير المعدل لديوى. وكان يكفي للقائم على المكتبة أن يكون ذا معرفة سطحية بما تحتويه المكتبة وبما يقوم عليه نظام التصنيف حتى أن البطاقات لم تكن تستعمل إذ كانت المكتبات تعتمد في رصد محتوياتها على السجلات. وقد اضطرت إحدى مكتبات الكليات، نظراً للعجز في القوى العاملة، إلى اعتماد فكرة الرفوف المغلقة فكان الطالب يأتي للمكتبة ويقلب في مجلدات دليل الكتب. وكانت مرتَّبة هجائياً حسب المؤلف أو العنوان، ليحصل على اسم الكتاب ومؤلفه ورقمه ليسلمه «للعامل»، الذي كان وقتها يجيد القراءة والكتابة، ليقوم هذا العامل بدوره بالبحث عن الكتاب من خلال رقمه ومن ثم إحضاره ، إن كان موجوداً. وفي فترة البحث عن كتاب واحد ينتظر بقية المطالعين دورهم ليبحث لهم عن كتبهم، ولك أن تتصور المعاناة التي يمر بها العامل والطالب في سبيل الحصول على الكتاب. أما الأعمال الفنية الأخرى كالتزويد والفهرسة والتسجيل ونحوها فقد كان تسند إلى واحد أو اثنين من أعضاء هيئة التدريس.(٢)

وفي مواضع أخرى كانت بعض المكتبات مضطرة إلى الاكتفاء بموظف واحد يعرف أماكن الكتب التي يسأل عنه وقد يضطر أحيانا إلى ارتقاء السلم في سبيل الحصول على الكتاب وذلك لضيق المكان من ناحية واعتبار أن المكتبة ــ كما ذكرنا ــ مستودع لتخزين الكتب من ناحية ثانية. أما مكتبات المدارس فلم يكن نصيبها أفضل من غيرها إذ كانت ــ إن وجدت ــ تشغل أحد الفصول الدراسية ويقوم عليها أستاذ اللغة العربية ــ المطالعة غالباً ــ في أوقات فراغه، ولا تتاح للطلبة فرصة الذهاب إليها إلا في فترات الاستراحة إذ أن المكتبة تغلق مع أغلاق المدرسة. وقد عمدت بعض المدارس إلى إيجاد مكتبات الفصول التي كانت تقوم على فكرة وضع مجموعة من الكتب في الفصل وتسند مسئوليتها إلى عريف الفصل ليقوم بمهمة الاستعارة والتسجيل.(٣) أما مكتبات المساجد فهي ظاهرة انتشرت حديثاً ولم تلق الاهتمام المطلوب بعد وهي قائمة على عمل تطوعي يقوم به أحد أفراد الحي الذين تتوفر فيهم الحماسة للاطلاع والبحث والمعرفة.

وفي عام ١٣٧٠/١٩٥٠م طلبت **مجلة المكتبات Library Journal** من سفير الولايات المتحدة الأمريكية في جدة كتابة مقالة يستعرض فيها السفير المكتبات ونظامها في المملكة العربية السعودية، ومع أن المقالة موجزة جداً إلا أنها تعبر عن التشاؤم في تطور المكتبات بجميع أنواعها من ناحية الخدمة والإدارة.(٤) ومنذ ذلك التاريخ والاهتمام بالمكتبة يزداد إزدياداً وإن بدا عليه البطء إلا أنه يساير مسيرة النهضة التي تعيشها المنطقة خاصة وأن النظرة للمكتبة والاهتمام بها يعكس مدى الوعي الفكري والثقافي والعلمي الذي تعيشه المنطقة أية منطقة، ولعل التأخر في هذا

الاهتمام نتيجة طبيعية لذلك. ومع هذا فعدد المكتبات يزداد ومراكز المعلومات والأبحاث لا تقل حظا عن المكتبات.

هذا العرض السريع لما هي عليه حالة المكتبات هنا إنما يقصد من ورائه إعطاء صورة شاملة لتلك الحالة في الوقت الحاضر، وهذا العرض ليس بالضرورة إغفالاً لدور الكتب التي واكبت النهضة الإسلامية منذ بزوغ فجر الاسلام وما وصلت إليه من إثراء للمعرفة الانسانية عموماً وما واكب ذلك من اهتمام بالكتاب ودُوره وتشجيع على التأليف ومنافسة في الحصول على الكتاب، وإنما يقصد هنا التركيز على النظرة الجديدة لدور المكتبة في المجتمع وطريقة بنائها وتزويدها وخدماتها.

ولعل النقص في المصادر البشرية ــ إضافة إلى عامل الوعي ــ يساهم مساهمة فعَّالة في الوقوف حجر عثرة في طريق توفير المكتبات ومراكز المعلومات والسعي بها إلى الأفضل؛ ذلك أن النقص لا يتناسب وطموح البلاد في السعي الحثيث نحو التنمية المتمثل بتبني خطط التنمية الخمسية والتي نعيش الآن ثالثتها. وقد اعتمدت هذه الخطط في سبيل التغلب على مشكلة النقص في القوى العاملة على فكرة الاستقدام اعتماداً شبه كلي. وفكرة الاستقدام لها محاسنها الكثيرة لو أحسن استخدامها، كما أن سوء استخدامها تسبب في مساوىء ليس هذا مجال الحديث عنها خاصة إذا تدخلت الذاتية في تقويم هذه الفكرة. ولعل سرداً سريعاً للمساوىء العلمية والتقنية في المكتبات ومراكز المعلومات يعطي شيئا من الدعم لفكرة وجود بعض المساوىء وسنغفل سرد المحاسن نظراً لكثرتها. والمساوىء التي نشير إليها لا تقتصر على جانب واحد بل هي ذات وجهين أحدهما يتعلق بالمكتبات ومراكز المعلومات ذاتها والآخر يتعلق بالمستقدمين أنفسهم:

١ ــ إدارة المكتبات ومراكز المعلومات واتخاذ القرارات فيها غير مطرد، إذ يتأثر بتغيرُّ مدير المكتبة ومعاونوه مع العلم أنه لا يكاد يتفق اثنان على المقاييس التي تدار بها المكتبة نظراً لعدم وجود المقاييس من ناحية، ولاختلاف تفسيرها من ناحية أخرى لو وجدت. والتغيرُّ في إداريي المكتبة ومعاونيهم له تأثيره المباشر على بقية العاملين في المكتبة إذ بينا هم قد مضوا في تنفيذ سياسة الإداري السابق يجدون أنفسهم في مواجهة سياسة جديدة قد تكون مناقضة للسياسة السابقة مما يؤدي إلى شعور العاملين بجهل الإداري الجديد بالظروف التي تحيط بالمكتبةخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار تسلط فكرة الرئيس والمرؤوس التي تتطلب ــ في نظر البعض ــ قلة الاتصالات وعدم التأكيد على الحوار والتقارب بين الطرفين.

٢ ــ بسبب انعدام المقاييس في ادارة المكتبة نجد أن فكرة تقويم العاملين وحفزهم تختلف باختلاف المشرفين والمراقبين على المكتبات، ومع أن كل مكتبة أو مركز معلومات يعمل على إيجاد بعض المقاييس التي ينتظر منها الدوام إلا أن تفسيرها يختلف من مشرف إلى آخر.(٥) كما أن معاملة المشرف السابق قد تختلف من حيث الاهتمام وعدمه بالعاملين وحثهم وحفزهم عن المشرف الجديد الذي قد لا يرى لفكرة الحث والحفز أيَّ تأثير على العاملين ويكتفي بالمعاملة القائمة على فكرة المشرف والمشرَف عليهم والتي قد تقوم على شيء من السلبية في المعاملة مما يبطىء بطريق غير مباشر في أداء المهام المناطة بالعاملين كرد فعلٍ سلبي للسياسة الجديدة، والعكس قد يكون صحيحاً ذلك أن التغيير في الإدارة والاشراف قد يكون في صالح العامل والعمل فيأتي المشرف الذي يؤمن بتلك الأفكار ويطبقها على عامليه بما يغني وينشط جوّ العمل ومن ثم يساعد على الانتاج والخدمة.

٣ ــ من المتوقع لكل مكتبة أن تتبنى طريقة سهلة شاملة متفق عليها في مسألة الإجراءات الفنية للمكتبة. هذه الطريقة لابد أن تتعرض للتحوير والتعديل مع كل تغيرُّ يحصل بين العاملين والمديرين على حدٍّ سوا. هذا التغيرُّ في العاملين والمشرفين على المكتبة سيكون له دوره في تغيير سياسة التزويد، كمية التزويد ونوعيتها، طريقة اختيار الكتب وطريقة اقتنائها، الفترة الفاصلة بين طلب الكتاب

ووصوله للمكتبة ومن ثم ترفيفه، تسجيل الكتاب وفهرسته وتصنيفه، وترتيب الكتب من حيث الترفيف وتنظيم طاولات القراءة ... ونحو ذلك. هذا التغيُّر قد يولِّد عدم استقرار المكتبة على نظام متسق مما يؤثر على العاملين فيها والمطالعين ومن ثمَّ على الاقبال على المكتبة ومدى فاعليتها.

٤ ــ الاضطراب في إدارة المكتبة وعامليها يوجد اضطراباً في قوانين المكتبة وأنظمتها من حيث فتح المكتبة واغلاقها، نظام الاستعارة ومدتها، تجاوز مدة الاستعارة وما يتبع ذلك من غرامة، الإجابة على أسئلة المراجعين ، بالإضافة إلى مدى توفر الكتب وسرعة الوصول إليها.

هذه العوامل قد تحدث عند تغيُّرُ أية إدارة أو عاملين سواء كانوا مستقدمين أو محليين، ولكن الصورة تتضح أكثر مع المستقدمين لحتمية التغير وعدم القدرة على السيطرة عليها بواسطة التمديد أو نحوه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المساوىء التي يواجهها المستقدمون أنفسهم تتعلق في عوامل إنسانية من حيث عدم توفر الجو المناسب لهم من ناحية التغير في البيئة والعادات المحلية وعدم القدرة على التأقلم مع هذه العادات بالإضافة إلى من يتركهم المستقدمون خلف ظهورهم في مواطنهم مما يثير القلق عليهم ومواصلة التفكير بهم والتطاع المستمر إلى السماع منهم هذا بالإضافة إلى المعاملة الذاتية التي يتلقاها البعض وما يشعرون به من عدم الأهلية. هذه العوامل لها تأثيرها الواضح في سير العمل في المكتبات وإن جرت العادة على اغفالها أو عدم إعطائها الاهتام اللازم.

كما أن عدم الاستمرار في عمل ما له تأثيره السلبي من حيث أن كثيراً من المستقدمين يقومون بأعمال لها من الأهمية ما يتطلب الاستمرار عليها ومواصلة الاشراف عليها والانقطاع المفاجيء عن هذا العمل يقضي على الطموح والتفاني في تنفيذ المشاريع البناءة التي يقوم بها مجموعة من المكتبيين وتشهد بها مجموعة لا بأس بها من مكتبات المنطقة ومراكز معلوماتها والتي شهد بعضها هذا الكاتب خلال تجربته المحدودة وتبادله وجهات النظر مع من عمل معهم أثناء عمله في مكتبة جامعة الإمام.

الحلول المقترحة :

لعله من الغني عن البيان هنا أن الحل الشامل إنما يتمثل في وجود القوى الوطنية العاملة المؤهلة في علم المكتبات والمعلومات وكذا غير المؤهلة، ولكن الواقع ينفي هذه الفكرة ويجعلها في عداد المثاليات التي لا ينتظر أن تتحقق في الوقت الراهن. ولعله من الغني عن البيان ــ أيضاً ــ الاستغناء عن فكرة الاستقدام بتوظيف المواطنين الذين نالوا قسطاً لا بأس به من التعليم، وإن لم يكن في مجال المكتبات والمعلومات، إذ أن هذا الحل وأن أثبت جدارته في مواقف خاصة ولدى أشخاص معينين ، إلا أنه مدعاة إلى الخلط في اتخاذ القرارات التي تتطلب شيئاً من الاطلاع والمعرفة بالعلم ذاته. هذا الخلط سيضعف هذا العلم وخدماته بدلاً من تقويته والصعود به إلى الأفضل. وعلى هذا فإن الحلول المقترحة الآتية جديرة بالتبني والأخذ بالاعتبار وإن كان بعضها يتطلب توفر عوامل متعددة كعامل الزمن وعامل النوعية ونحوهما.

١ ــ التعليم :

الأمية تشكل عقبة كأداء في طريق التنمية في المنطقة العربية عامة.(٦) ومع هذا فحركة التعليم تسير في خطى ثابتة وطيدة خلال التسهيلات التي يحصل عليها الدارسون والدارسات صغاراً وكباراً بالإضافة إلى التسهيلات المقدمة للدارسين في الجامعات على المستويين الجامعي والدراسات العليا محلياً وعالمياً ولعل المحاولات تترى في جعل التعليم الوسيلة الوحيدة لحياة أفضل بدلاً من الوسائل السريعة التي يغلب عليها الدوام المؤقت والتي تأتي عن طريق الغنى المادي السريع الذي أثبت ويثبت عدم قدرته على المعاناة والابتكار.(٧)

في سبيل جعل التعليم هو الوسيلة الوحيدة ينتظر التركيز على هذه الفكرة من خلال زرع الانطباع لدى الناس أن التعليم هو المخرج الوحيد الذي يمكن من خلاله تأمين حياة الفرد والمجتمع تأمينا يتفق مع ما يصبو إليه المجتمع نفسه. ولعل هذا يتطلب الاستمرار في إنشاء المؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها والإكثار من المكتبات ومراكز المعلومات نتيجة حتمية مصاحبة لهذه الفكرة.

٢ ــ تعليم علوم المكتبات والمعلومات :

يوجد الآن في المنطقة مدرستان ، أو قسمان، لتعليم علوم المكتبات والمعلومات، الأولى تتبع جامعة الملك عبد العزيز بجدة والتي انشئت عام ١٣٩٢ هـ، والأخرى في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض والتي أنشئت عام ١٣٩٤ هـ. وكلا المدرستين تقدمان برنامجاً من أربع سنوات مع اختلاف طفيف في نقاط التركيز عند كل مدرسة. ولعل هاتين المدرستين تعتزمان التوسع في برامجهما لتشمل الدراسات العليا للمكتبات والمعلومات ويدخل في هذا فكرة شعبة المخطوطات التابع لقسم المكتبات بجامعة الإمام. هذا بالإضافة إلى الدورات التدريبية التي تقدمها جامعة الملك سعود بالرياض ومعهد الإدارة العامة بالرياض وفروعه في المناطق الأخرى. كما أن مدرسة للمعلومات يزمع افتتاحها قريباً ــ إن شاء الله ــ يكون التركيز فيها على التقنية في نقل المعلومات وتحويلها.

ولا شك أن مزيداً من التركيز على تعليم علوم المكتبات والمعلومات يمكن الحصول عليه من خلال التوسع في تقديم هذا العلم في المناطق الأخرى مثل المنطقة الشرقية والمنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية. وذلك بعد دراسة بعض الأمور من مثل العدد الشامل للطلبة في كل منطقة ومدى إمكانية فتح مدارس أو تقديم دورات تدريبية.

٣ ــ جمعية المكتبات والمعلومات :

جمعية المكتبات في كل منطقة تلعب دوراً فعّالاً في تنمية وتطوير المكتبات والمعلومات وعلومهما. ولعل أفضل مثال على ذلك جمعية المكتبات البريطانية وجمعية المكتبات الأمريكية.

في الوقت الراهن ليس لدينا جمعية مكتبات على مستوى البلاد، ويعدُّ هذا أحد الأسباب الرئيسية في عدم تقدم هذا العلم وخدمات المكتبة ؛ إذ أن جمعية المكتبات ينتظر منها الاشراف على البرامج والخدمات والاشراف على البحوث والدراسات المقدمة من قبل المكتبيين وعلماء المعلومات من خلال نشرها لدوريات تهتم بهذه الأمور ومن خلال نشرها كذلك للكتب التي ترى لها الأحقية للنشر إضافة إلى مهمتها في تقعيدها للعلم والسعي به إلى مطابقة احتياجات البلاد وملاءمة الاحتياجات للمبادىء التي تؤمن بها هذه البلاد وتسير عليها. وهذه مهمة ليست باليسيرة لأن المسئولين في هذه الجمعية ستقع على عاتقهم فكرة التكييف التي تحتاج إلى الخبرة التامة بالعلم ذاته بالإضافة إلى الخبرة الواسعة بالبيئة ومتطلباتها والخلفيات وما يلائمها.(٨) ومن خلال هذه الجمعية تتفرع أقسام تكون أكثر تركيزاً وأكثر تخصصاً كقسم مكتبات المدارس، وقسم المكتبات الجامعية، وقسم المكتبات المتخصصة، وقسم مكتبات الكليات المتوسطة، وقسم مكتبات المساجد ونحوها من الأقسام الداخلة تحت إشراف الجمعية الأم. وعند انشاء هذه الجمعية ينتظر منها التعاون مع جمعيات المكتبات العربية والاسلامية أولاً ثم التعاون المحدود مع جمعيات المكتبات الأخرى قصداً للاستفادة من خبرات هذه الجمعيات وتبادل الآراء والأفكار معها والمشاركة في اجتماعاتها ومؤتمراتها وعروضها.(٩) كما يتوقع منها عقد اجتماعات دورية تشجع فيها المشتركين على البحث والدراسة وعرض المشاكل التي تواجهها المكتبات ومراكز المعلومات على حدة والتي يمكن أن تنفرد بها دون غيرها.

٤ ــ مواصلة التعليم :

وهذه الفقرة تتعلق بالمكتبيين أنفسهم إذ أنه من الضروري دفعهم إلى مواصلة تعليمهم من خلال إتاحة الفرصة لهم للانخراط في بعض المواد التي تناسب تخصصهم من ناحية، وإتاحة الفرصة

لهم للانتظام في بعض المحاضرات التي تلقى إما على مستوى الأنشطة الثقافية أو على مستوى المحاضرات المنهجية من ناحية أخرى. ويدخل في ذلك مساعدتهم وتشجيعهم على متابعة ما ينشر في هذا الحقل محلياً وعربياً وعالمياً.(١٠) ومن المؤكد هنا أن الوسيلة الفضلى لتحقيق هذا الهدف هي السعي في الزام المكتبيين إلزاماً علمياً يتوقف عليه مدى حصولهم على منزلة علمية وأدبية أرفع مما هم عليها وتذكيرهم أنها الوسيلة الرئيسية لهم لمتابعة تطور هذا العلم الذي يلاحظ فيه عدم الاستمرار على نمط معيَّن، بل هو في تطور ملحوظ.(١١) على أنه مما يجدر التنويه به هنا عدم الاقتصار على التوسع في علوم المكتبات والمعلومات وحدها وإنما يتعدى الأمر ليشمل العلوم الأخرى التي ينتظر أن تكون لها علاقة مباشرة بعلوم المكتبات والمعلومات، كالعلوم الاجتماعية والاحصاء وعلم النفس ونحوها. ولعله غني عن البيان أنه لابد أن تتاح الفرصة لجميع العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات كل فيما يخصه وتقع مسؤولية ذلك على المكتبة بالتعاون مع جمعية المكتبات. ويتبع هذا استبعاد فكرة عدم توفر الوقت للتدريب والخدمة في وقت واحد واتخاذها عذراً في طريق تنمية المعارف إذ أن التنسيق في توزيع العاملين هو المحك الذي يلزم السير عليه في هذا المجال.(١٢)

أما طريقة الحصول أو التخطيط للمحاضرات فمن المستحسن إعطاء مسئوليتها لجمعية المكتبات التي ينتظر منها التنسيق في إعطاء المحاضرات والندوات والجلسات في جميع المناطق من خلال استخدام المكتبات العامة مقراً لهذه الأنشطة ، ويتبع هذا دعوة المحاضرين وتسهيل الخدمات لهم.

٥ ــ التعاون بين المكتبات :

التعاون بين المكتبات يُعدُّ أحد الأسس التي يبنى عليها نجاح الخدمة المكتبية في المكتبات. ولا شك أن كل قائم على مكتبة ما مهما كان نوعها يتمنى الحصول على أكبر قسط من الكتب والدوريات لتكون كمية عددية يزيِّن بها كتابه الإحصائي السنوي ويفاخر بهذا العدد أمام المكتبات الأخرى، كما أن النظرة القائمة على المنافسة في اقتناء الكتب وتخزينها قائمة موجودة في كل زمان ومكان؛ إذ أن فكرة المنافسة تقوم على فكرة مبنية على أنه ما دامت تلك المكتبة تحتوي هذه الكمية والنوعية من الكتب والدوريات ونحوها فهذا لا يمنع حصول هذه المكتبة على نفس الكمية أو النوعية إن لم تربُ عليها. ولكن هذه النظرة من الناحية العلمية والعملية تعدُّ نظرة ذاتية قد يستحيل تحقيقها، وإن لم يستحل تحقيقها فإن مجرد تحقيقها ليس بمقدور كل مكتبة أو مؤسسة علمية. ولو افترضنا أن في مقدور المكتبات والمؤسسات التعليمية تحقيق هذه الفكرة فالناحية العلمية والعملية توجب شيئاً من التنسيق والتعاون بين المكتبات لتكون مهمتها الأولى خدمة المطالع «المستعمل» بدلاً من التسابق على اقتناء الكتب والدوريات ونحوها.

والتعاون والتنسيق بين المكتبات في بلادنا يُعدُّ من المتطلبات الرئيسية للتغلب على قضية النقص في القوى العاملة. هذا التعاون والتنسيق يتمثل في جوانب عدة منها:

أ ــ **الفهرس الموحَّد** ؛ فالفهرس الموحَّد بين المكتبات يعطي المطالع «المستعمل»، فكرة عن وجود كتاب أو دورية ما في أية مكتبة فيسعى للحصول عليها بنفسه أو بواسطة مكتبته. هذا من ناحية . ومن الناحية الفنية فإن الفهرس الموحَّد سوف يغني عن فهرسة كل كتاب يصل إلى المكتبة إذ أنه سيصل مفهرساً جاهزاً ببطاقاته وما على المكتبة إلا إجراء اللازم لوضعه في مكانه المناسب وتوزيع بطاقاته في فهارسها. والفهرسة الموحدة هنا يدخل فيها القوائم الموحدة والفهرسة الوصفية ورؤوس الموضوعات.

ولعل الطموح يتعدَّى هذه المنطقة ليشمل البلاد العربية كلها إذ أن الاتفاق على نوعية معينة من الفهرسة يجعل التنسيق بين المكتبات العربية من السهولة بمكان.

ب ــ **الضبط البليوغرافي للمواد العربية** وذلك استجابةً للتوصيات الصادرة عن مؤتمر البليوغرافي للكتب العربية والذي تم عقده في مدينة الرياض في نهاية عام ١٣٩٣/١٩٧٣م تحت رعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.(١٣) ومما ركزت عليه هذه التوصيات التعاون بين المكتبات من ناحية الضبط

الببليوغرافي . ولعل هذه التوصيات تحتاج إلى إعادة نظر ليتم تحديثها والإضافة عليها وربما الحذف منها نظراً لما تستدعيه الظروف الحالية. ويشمل هذا التركيز على التكشيف والاستخلاص مع إيجاد مراكز خاصة تكون مهمتها العمل على اصدار الكشافات والمستخلصات الشاملة والخاصة في كل فن من الفنون أو علم من العلوم.

جـ ــ **شبكات عمل المكتبات**. ويقصد هنا ايجاد اتصالات مباشرة ومستمرة بين المكتبات بغض النظر عن نوعها، إذ المطلوب الحصول على المواد والمعلومات بالدرجة الأولى، فالاتصال يشمل المكتبات الجامعية مع المكتبات العامة، والمكتبات العامة مع المكتبات المدرسية، والمكتبات المدرسية مع المكتبات الجامعية، إضافة إلى اتصال هذه المكتبات بمراكز المعلومات واتصال مراكز المعلومات ببعضها. هذه الفكرة سوف تقضي على تعدد النسخ بين المكتبات وما يتبع ذلك من التعدد في الاجراءات الفنية اللازمة. ولعل هذه النظرة تتطلب الاتصال المباشر بين المكتبيين من حيث إقامة جلسات عمل بينهم تناقش فيها القضايا التي تتطلبها هذه الفكرة ووسائل تحقيقها والمواصلة على أدائها، كما أنها تتطلب تثقيف المكتبيين المستمر واطلاعهم على أحدث الوسائل التي يمكن بواسطتها خدمة هذا الجانب وذلك من خلال إتاحة الفرصة لهم لحضور بعض المحاضرات والندوات التي تركز على هذه النقطة.

د ــ **تبادل المعلومات** ، ونعني بهذه النقطة ضرورة قيام اتصالات تؤدي إلى تبادل الأفكار حول المقتنيات والتزويد، ووجود هيئة مشرفة على نشر ما استجد من مقالات وكتب وما يتعلق بها، والمحافظة على عقد الندوات المصغرة، وإقامة المؤتمرات واسعة النطاق ومتعددة الأغراض، بالإضافة إلى تبادل الأفكار حول رسالة المكتبة ومهمتها وتطور هذه الرسالة وتحولها عبر السنين من مستودع لتخزين الكتب إلى مؤسسة علمية ثقافية مهمتها خدمة المطالع «المستعمل»(١٤).

ولعل هذه النقطة تتطلب الاشتراك في الندوات والمؤتمرات والأنشطة التي تقام خارج البلاد، إما على المستوى العربي، أو على المستوى الإسلامي، أو على المستوى العالمي مما يساعد على ابراز حركة تطوير المكتبات في هذه البلاد والاستفادة من الخبرات والتجارب العربية والاسلامية والعالمية.

هـ ــ **الحاسب الآلي** : إذ من المتوقع أن تخضع المكتبات ومراكز المعلومات لنظام الحاسب الآلي الذي يعد وسيلةً عمليةً لتحقيق الغرض من رسالة المكتبة. ولعل نظام الحاسب الآلي يعتبر من متطلبات المكتبات إذا أريد منه المساهمة في القضاء على مشكلة القوى العاملة من ناحية والتقليل من المصروفات الفنية ونصف الفنية من ناحية أخرى. هذا ما ينتظر من الحاسب الآلي توفيره بالإضافة إلى خدمات أخرى لسنا بصدد تعدادها. والذي نريد أن ننبه عليه هنا أن الحاسب الآلي بحدّ ذاته سواء استعمل في المكتبات أو غيرها أنما هو سلاح ذو حدّين يجب التروي والتفكير العميق قبل استحسان فكرة استعماله. ولعل هذه المقالة لا تتسع للتفصيل في هذا المجال، إلا أنه يكفي القول بأن الحاسب الآلي اليوم يمثل قمة التقنية الحديثة التي اعتبرها أحد المهتمين في هذا المجال الاستعمار الجديد.* فالحاسب الآلي وإن كان سيقضي على مشكلة النقص في القوى العاملة. في نظر كثير من المهتمين بهذا المجال، إلا أنه سيوجد مشاكل تتعلق به من حيث النظام المستعمل واللغة المستعملة والآلات والأدوات «الثقيلة والخفيفة». إذ أن تحمس بعض المؤسسات التعليمية لنظام خاص دون التنسيق مع المؤسسات الأخرى ومن ثم العمل بهذا النظام سوف يعيق الفكرة التي جُلب من أجلها الحاسب الآلي.

هذا مع ملاحظة تبنى أية وسيلة من وسائل التعاون بين المكتبات ما دامت هذه الوسائل تتفق مع متطلبات البيئة ولا تتعارض معها والافاضة في هذه النقطة يحتاج إلى تفاصيل لا يتسع لها هذا البحث.

٦ ــ خطط تنمية المكتبات :

لعل المتطلع إلى خطط التنمية الثلاث يجد قليلاً من التنويه بالمكتبات ومراكز المعلومات. ولعل هذه الفكرة كانت متروكة للجهات المختصة وداخلة في خطط التعليم. إلا أن نصيب المكتبات ومراكز المعلومات لابد أن ينص عليه في الخطة ذاتها ولا تغفل أهميتها. ومن المتوقع من الخطة التأكيد على التدريب والتعليم

في مجالي المكتبات والمعلومات في آن واحد. وهذا قد يتطلب التركيز على حاجة البلاد من مكتبيين وعلماء معلومات والتأكيد على العدد المطلوب ليس في الفترة القصيرة المقبلة وإنما على مستوى أبعد من ذلك بحيث تضمن الخطة وجود العدد الكافي ليغطي الحاجة المطلوبة. ومع الاعتراف بالجهود التي تقوم بها المؤسسات التعليمية في هذا الصدد إلا أنها تعبر عن وجهة نظرهم في مدى الحاجة إلى المكتبيين وعلماء المعلومات. فعلى سبيل المثال زار أحد المسئولين في مؤسسة علمية كبرى مكتبة المؤسسة المركزية فعرَّج على الأقسام الفنية، وفي قسم الفهرسة والتصنيف رأى مجموعة من المفهرسين والمصنفين فاستنكر وجود هذا العدد ولم يلاحظ ركام الكتب عن يمينه وشماله ولمَّح إلى أن اثنين من المفهرسين والمصنفين يكفي للقيام بالغرض!.

من أجل هذا تأتي الدعوة هنا إلى التركيز على المكتبات ومراكز المعلومات في الخطة ذاتها على أن هذا لا يمنع الاستعانة بالمسئولين في المكتبات ومراكز المعلومات إذ ليس الجميع على شاكلة بطل القصة المذكورة آنفاً، ولكن الاستعانة هنا تلزم أن تنصب على أولئك الذين تتوفر فيهم الخبرة والدراية بهذا الفن.

وإذا كانت هذه البلاد تشارك في مشكلتها بعض المناطق المجاورة وخاصة منطقة الخليج فلعله من الأوفق أن يكون هناك تعاون في التخطيط بين هذه البلاد والبلاد الأخرى من خلال قيام لجنة خاصة تكون مهمتها البحث والتنسيق بين هذه البلاد والاطلاع على حاجة كل بلد على حدة ومن ثمَّ التوصية بالحلول المناسبة. ولعل مؤتمر اليونسكو والذي دار حول ايجاد خطة للتوثيق والخدمات المكتبية في البلاد العربية والذي عقد في القاهرة في مطلع عام ١٣٩٥/١٩٧٥م قد ركز على فكرة تنمية نظام وطني للمعلومات تتضح من خلاله حاجة المناطق على حدة ومن ثم حاجة الوطن العربي مجتمعاً. وقد ركز على ايجاد لجنة تكون مهمتها المسئولية والصلاحية للتخطيط لهذا الفن ويكون من مهامها العمل على الحصول على التوصيات من قبل المختصين بهذا الفن ومن قبل ممثلي المصالح الحكومية الأخرى في جميع المجالات. ولعل هذا يتطلب تحديد المسئوليات وتوثيقها وكتابتها وتخصيص ميزانية لها لتقوم بمهمتها على أكمل وجه.(١٥)

٧ ـ التوعية المكتبية :

لعل العلاقات العامة هنا لها تأثير فعَّال في استقطاب الأعداد المطلوبة للمكتبات ومراكز المعلومات . وإن من مهام العلاقات العامة ابراز هذا الفن من خلال إيجاد برنامج خاصة يهتم بالدعاية والإعلام الموجه إلى المكتبيين وعلماء المعلومات أنفسهم بالدرجة الأولى. ثم إلى عامة الناس وبالأخص إلى طلبة المدارس الثانوية إن كانت دراسة المكتبات على المستوى الجامعي وإلى طلبة الجامعات إن تحوَّلت دراسة المكتبات والمعلومات إلى مستوى الدراسات العليا.

تتمثل مهمة العلاقات العامة هنا في توعية الناس من خلال الملصقات بمناسبة وبغير مناسبة، ومن خلال عرض الأفلام التي تركز على رسالة المكتبة في المجتمع، ومن خلال المحاضرات أو الخطب التي تلقى بين حين وآخر في أماكن مختلفة. وهنا تأتي مهمة المكتبيين وعلماء المعلومات للدعاية عن فنهم من خلال التعاون مع المسئولين في مؤسساتهم التي يعملون بها وإقناعهم بفكرة إتاحة الفرصة للموظفين أو الطلبة أو العاملين لزيارة المكتبة أو المكتبات التي لهم بها علاقة مباشرة وإن تطلب الأمر إقامة رحلات علمية لهذه المكتبات. ولا ننسى هنا دور الإذاعة والتلفاز في المشاركة بهذه المهمة كما أن الصحف اليومية والمجلات العامة لها دورها في التوعية لا يقل فعالية عن دور الإذاعة والتلفاز.

ومن أهم وسائل التوعية والدعاية هنا هي رعاية المنتسبين لهذا الفن وإتاحة الفرصة لهم للعمل في جوٍّ علمي مناسب دون إشغالهم بما قد يؤثر على مستوى أدائهم مثل مساواتهم في المكانة العلمية أو الأدبية أو المالية مع غيرهم ممن ينتسبون لهذا الفن في مناطق أو مؤسسات تعليمية وغير تعليمية أخرى. ولعل تأثير هذا الاستقرار وعدمه يسهم في اقبال الطلاب أو اقحامهم على هذا الفن إذ أنَّ المكتبي المتحمس لفنه سيكون ذا تأثير كبير في استقطاب أكبر عدد ممكن خاصة إذا علمنا من واقع الأمر أن تخصص المكتبات والمعلومات لا يزال غير مفهوم فهماً واسعاً لدى كثير من الناس وبالأخص لدى أولئك الذين نالوا قسطاً من التعليم.

هذه الحلول المقترحة أعلاه ما هي إلا خطوات في سبيل التغلب على مشكلة النقص أو العجز في القوى العاملة الفنية وغير الفنية في مجال المكتبات والمعلومات. وإن بدا في بعضها أنها مطلوبة سواء وجدت مشكلة النقص أو لم توجد فإن الطلب عليها يزداد التأكيد عليه ونحن نعاني من هذه المشكلة. ولعل نظرة عامة عاجلة إلى هذا الفن وأهله يُضفي نظرة متفائلة متطلعة إلى المستقبل الذي نرى فيه — إن شاء الله — السيطرة على هذه المشكلة من خلال تبني هذه الحلول وغيرها مما يتلاءم مع بيئتنا ويتفق مع تعاليمنا السمحة ويخلو من التبعية القائمة على موافقة التقنية لجميع البيئات والخلفيات.

الخلاصة والنتيجة :

في هذا البحث حاولت تسليط الضوء على مشكلة العجز في القوى العاملة المؤهلة وغير المؤهلة وركزت فيه على تأثير هذه المشكلة على علوم المكتبات والمعلومات وعلى المكتبات بأنواعها ومراكز المعلومات على مختلف تخصصاتها وقد تعرضت لخطة التنمية التي ابرزت هذه المشكلة واضحة وجعلتها ملموسة من خلال القفزات الطموحة لهذه البلاد مع التركيز على نصيب المكتبات ومراكز المعلومات في هذه الخطط والخروج بالنتيجة التي تفيد عدم التركيز على هذا المجال في خطة التنمية. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه البلاد لا تزال يافعة إذا قارناها بالبلاد الأخرى المجاورة لها، يافعة من حيث نهضتها الحديثة القائمة على التقنية لا يافعة من حيث خلفياتها ومبادئها. فالمصالح الحكومية لا تزال تترى والحاجة إلى من يديرها ويسيِّرها تزداد بما في ذلك المكتبات ومراكز المعلومات.

ولعل القائمين على هذه الخطط قد تنبهوا لهذه المشكلة وحاولوا علاجها خلال التعليم والتدريب وتحسين الخدمات الطبية والمرافق العامة عموماً. يظهر هذا في الخطتين الثانية والثالثة. وإذا ذكرنا أن نصيب المكتبات ومراكز المعلومات لم يكن واضحاً جلياً في الخطط الثلاث فإنما نعني أن الحاجة إلى المكتبات بأنواعها ومراكز المعلومات تزداد مما يجعل الحاجة لمن يديرها تزداد كذلك مما قد يوحي باستمرار هذه المشكلة وأن محاولة أهلية العاملين بها قد تصبح نوعاً ما مستحيلة. ولكن الإصرار على التخطيط والتأكيد على علوم المكتبات والمعلومات في الخطط إنما يعد الحل الذي من خلاله يُقضى على هذه المشكلة التي لا ينتظر القضاء عليها عند نهاية الخطة الثالثة أو الرابعة أو أية خطة قادمة وإن رسم لها موعد محدد فالمقصود هو السعي للقضاء على هذه المشكلة مع عدم الشعور بالتقصير أو العجز أو خيبة الأمل.

والاستفادة من تجارب الآخرين مطلوبة في هذا المجال مع تكييفها وجعلها — كما ذكرنا هنا في أكثر من موقف — ملائمة للخلفيات والبيئة. ومن هذه التجارب على سبيل المثال فقط ما صدر على شكل تقرير عام من جمعية المكتبات الأمريكية عام ١٣٩٠/١٩٧٠م بعنوان **«تعليم المكتبات والقوى العاملة»** والذي تتضح فيه بعض التوصيات التي من الممكن أن تطبق هنا.(١٦)

ومن الجدير ذكره هنا أن على المؤسسات أو المصالح غير الحكومية مسئولية تدريب موظفيها من مكتبيين وعلماء معلومات مساهمة منها في محاولة التغلب على هذه المشكلة. ولعل أقسام المكتبات القائمة الآن قادرة على استيعاب الأعداد المطلوبة لتغطية الحاجة، وإن حصل أن أعلنت هذه الأقسام كفايتها من الطلبة فإن البلاد المجاورة على استعداد لتقبل الطلبة واحتضانهم.(١٧) مع العلم أن أقسام المكتبات المحلية لديها الاستعداد لاستقطاب أكبر عدد ممكن خاصة إذا روعي فيها مواكبة هذا العلم وملاحقة كل جديد فيه في مجال التقنية والمناهج.

كما أن هناك متطلبات جرى سردها هنا كحلول لمشكلة العجز في القوى العاملة تعتبر أولية وأساسية في سبيل النهوض بهذا الفن وعلى رأسها إيجاد مؤسسة متخصصة مهمتها الحرص على هذا العلم ومتابعته والمساهمة في نهضته. كما أن مدارس المكتبات وانتشارها له دورها المهم في هذا المجال بالاضافة إلى الاهتمام بفكرة التعاون بين المكتبات وايجاد شبكات عمل بينها والتوسع في الاستعارة بين المكتبات والحث المتواصل المصحوب بالحفز للمكتبيين وعلماء المعلومات. كما أن توعية الناس عموماً

واشعارهم بأهمية المكتبة ودورها في بناء المجتمع تعتبر إحدى الوسائل الفعّالة التي يمكن من خلالها الحد من النقص في الفنيين في المكتبات ومراكز المعلومات.(١٨) على أن التوسع في هذه النقاط مطلوب لإلقاء مزيدٍ من التفصيل على كل عامل من هذه العوامل، ولعل الفرصة تتاح للمهتمين والمساهمين في هذا العلم للتوسع والتركيز على كل عامل على حدة.

مراجع البحث :

1. H.A. Al-Bar (1978). **Manpower Problems in Saudi Arabia; A Master** thesis Presented to the Faculty of the Graduate School of Arts and Sciences. University of Denver. p.35.

2. N. Sharify (1936). «United Arab Repoblic (Egypt) Iran, Iraq, Lebanon, and Syria.». **Library Trends 12:227-259.**

3. S.A. Khalifa (1978). **«Libraries in Saudi Arabia». Leads** 20:1-5.

4. J.R. Childs (1950). «Saudi Arabian Libraries Still Largely Unknown.» **Library Journal** 75:1276-1277, 1382-1383.

5. R.D. Stueart and J.T. Eastlick (1977) **Library Management** Littleton, Colorado: Libraries Unlimited. pp. 75-126.

6. A. Sahrif (1979). «The Factors which Effects the Development of Librarianship and Library Education in the Arab Countries.» **International Library Review** 11: 245-257.

7. R.C. Benge (1979). **Cultural Crisis and Libraries in the Third World. London:** Clive Bingly. pp. 13-33.

8. A.I. Namlah (1982). «Prinsiples for Planning Library Education Programs in the Muslim World.» A Paper Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information. Scientists, Sponsored by the Muslim Students' Association of the U.S. and Canad. September 3-5/1982. Purdue University, W. Lafyatt, Indiana.

9. Z. Khurshid (1979). «Libraries and Information Centers in Saudi Arabia». **International Library Review.** 11:409-419.

10. E. Kemper. (1971). **Library Management.** Littleton, Colorade: Libraries Unilimited. pp. 91-102.

11. D.R. Hoffman (1975). **Report of the Task Force on Library Manapower and Education: Summary and Recommedations». Wisconsin Library Bulletin.** 71:307-315.

12. M. Slater (1978). «Career Patterns and Mobility in the Library Information Field.» **Aslib Proceedings 30:344-351.**

13. UNESCO Bibliographical Services Througout the World: «Bibliograph, Documentation, Technology. **UNESCO Bulletin For Libraries.** 15:90. (1961).

14. M. Sheniti (1966). «UNESCO and Library Related Services in Arabic Speaking Countries». **UNESCO Bulletin for Libraries.** 20: 219-225.

15. A. Sharif (1979). «The Factors which Effect the Development of Librarianship and Library Educatrion in the Arab **Countries»** (op. cit)..

16. American Library Association (1970). «Library Education and Manpower» **American Libraries.** 1:341-344.

17. F.L. Kent (1960). «Professional Training of Librarians». **UNESCO Bulletin for Libraries,** 14:100-103.

18. A.I. Namlah. (1982) « Manpower Defciency in Saudi and its Effect on the Library and Information Profession. » **International Library Review. 14:20.**

* لمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى مجلة عالم الكتب المجلد الثالث (١٤٠٢) الصفحات ٦ — ١٠ و١٦٢ — ١٧٠ حيث يعالج المؤلف التقنية ومدى استعمالها والتحذير من سيطرتها على صنوف الحياة.

نظرية صفوف الانتظار وإدارة مراكز الخدمة

مصطفى زايد
أستاذ الاحصاء المساعد – كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

مقدمة :

نظرية صفوف الانتظار Queueing theory من أكثر النظريات الاحصائية انتشارا وتطبيقا. وتعد هذه النظرية ضمن أساليب بحوث العمليات أو الأساليب الادارية باعتبارها أحدى الأدوات الهامة في وضع القرارات المتعلقة بإدارة مراكز الخدمة في كافة المجالات وسواء كان ذلك في مرحلة تخطيط وتصميم هذه المراكز أو في أثناء تشغيلها.

وقد بدأت المعالجة الرياضية لمشاكل صفوف الانتظار بأعمال العالم الهولندي إيرلانج Erlang, A.K. عام ١٩٠٥ أثناء دراسته لمشاكل المكالمات التلفونية . ثم تطورت إلى درجة كبيرة أصبحت فيها تستوعب كافة مراكز الخدمة بأشكالها المتنوعة وتنظيماتها المعقدة.

وتنشأ مشكلة صف الانتظار Queue بسبب تدفق مجموعة من الرواد تسمى عملاء Customers على أحد مراكز الخدمة يطلبون أداء خدمة معينة في الوقت الذي يكون فيه القائمون على الخدمة Servers مشغولين باداء الخدمة لعملاء آخرين.

وسنحاول في هذا العمل عرض النماذج الرياضية لصفوف الانتظار في صورة سهلة بحيث يمكن استخدامها والانتفاع بها بمعرفة غير المتخصصين في الاحصاء أو الرياضيات، ولذا سيقتصر الأمر على عرض النماذج النمطية التي لها تطبيقات كثيرة في الحياة العملية، كما أنه سيتم عرض الصيغ الرياضية بدلالة أحد المؤشرات العامة وذلك لتسهيل الحصول عليها . كما أنه تم عرض صيغ رياضية لتسهيل حساب هذه المؤشرات نفسهـا ، هذا بالإضافة إلى عرض الأشكال البيانية والتي يمكن منها إستخراج هذه المؤشرات . أخيرا تم عرض تطبيقات لهذه النماذج في المكتبات مع الإيضاح بالأمثلة الرقمية .

بعض حالات وتطبيقات صف الإنتظار

صف الإنتظار ظاهرة مألوفة لنا، الكل يلحظه هنا وهناك، بين الحين والآخر، يشارك فيه أحيانا ويتسبب في تكوينه أحيانا أخرى، تجده يلازمك منذ بداية يومك، في طريقك، في عملك، عند شراء أغراضك وقضاء حاجاتك. تجد نفسك مضطرا للانتظار بسيارتك أو بغيرها في صف إلى أن تسمح الإشارة لك بالمرور، وكذلك تجد صفا وأنت تحاول الانتظار بسيارتك، وكذا وأنت تدخل محلا لشراء لوازمك، تجده في المطاعم، الفنادق، خدمات البريد، التلغراف.

هذه الصفوف مقلقة بدرجة كبيرة عند طلب أي من خدمات الطوارىء كالاسعاف، أو الشرطة أو المطافىء وكذا في المستشفيات حيث يأتي المرضى طلبا للكشف أو العلاج أو التحليل أو اجراء عملية جراحية، وتجد الصفوف كذلك في عيادات الأطباء.

وفي المطارات تجد صفوف الانتظار أمام خدمات حجز التذاكر، الوزن، الأمن، والطائرات نفسها تجدها تكوّن صف انتظار إلى أن يهيأ لها ممر تهبط عليه.

في المكتبات تجد صفوف الانتظار أمام خدمات الإرشاد والإعارة، التصوير.

وصف نسق صف الانتظار

يمكن وصف نسق صف الانتظار في ضوء الثلاثة عناصر التالية:

(١) عملية القدوم Input Process
أي الطريقة التي يرد بها العملاء

(٢) قواعد صف الانتظار Queue diseipline
أي الطريقة التي ينتظر بها العملاء في الصف.

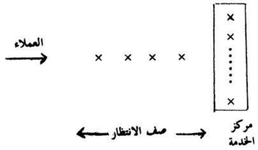
(٣) نظام الخدمة Service mechanism
الطريقة التي تتم بها خدمة العملاء.

ومن الواضح أن كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة يمكن التعبير عنه بمجموعة من الطرق المختلفة ولذا فإن نماذج صف الانتظار تتعدد بدرجة كبيرة. وعلى أي حال فإن نظريات صفوف الانتظار تطورت إلى درجة تستوعب كل هذه الحالات على أن الصيغ الرياضية التي يتعين استخدامها تكون معقدة إلى درجة كبيرة، ولذا سنقتصر هنا على عرض النماذج النمطية، خاصة وأن صيغها سهلة نسبيا، كما أنها تنطبق على عدد كبير من الحالات، كما أنها تعد تقريبا معقولا لعدد كبير من الحالات الأخرى.

وهذه النماذج النمطية تغطي الحالات التي يرد فيها العملاء بطريقة عشوائية، أي أن معدل الورود ــ حسب النظريات الاحصائية ــ يتبع توزيع بواسون Poisson، وهذا التصور على أي حال يمكن التحقق منه إحصائيا. وسيراعى عرض الصيغ الرياضية في حالة الاستقرار Steady-State ، أي حالة عدم الاعتماد على الوقت دون التعرض للحالات المعقدة والتي تعتمد على الوقت Transient-State فالحالة الأولى هي التي تفيدنا في وضع تنظيم دائم لمركز الخدمة.

ونعرض هنا نموذجين :ــ

(١) النسق المؤجل : delay - system
في حالة كون مركز الخدمة مشغول، يتم انتظار العملاء في صف دون حدود أي أن الخدمة تؤجل لحين تفرغ مركز الخدمة، ويمكن تصور هذا النسق كما يلي :



ويفترض هذا النموذج أن هناك عدداً من القائمين بالخدمة (نقاط الخدمة) Servers قدره (س) وأنهم بنفس الكفاية وأن وقت الخدمة يتبع التوزيع الأسي Exponential distribution

(٢) النسق المسدود: Blocking - System
وفي هذا النموذج لا يسمح للانتظار في صف، فإذا كان مركز الخدمة مشغولا فإن العملاء الواردين لا تؤدى لهم الخدمة حيث لا محل للانتظار. وهذه الحال نصادفها في المطاعم، الفنادق أماكن انتظار السيارات، محطات البنزين.

أهداف نظرية صفوف الإنتظار

تعد نظرية صفوف الانتظار أحد الأساليب العلمية التي تساعدنا في ادارة مراكز الخدمة وحل مشاكلها، سواء كان ذلك في مرحلة تخطيط وتصميم هذه المراكز أو في مرحلة تشغيلها. وفيما يلي نذكر بعض المؤشرات والمقاييس الإحصائية والتي لا غنى عنها لإدارة مراكز الخدمة بأسلوب علمي :

١ ــ متوسط عدد العملاء المنتظرين في نسق الخدمة.
٢ ــ متوسط عدد العملاء المنتظرين في صف الانتظار.
٣ ــ متوسط وقت انتظار العميل في نسق الخدمة .

٤ ــ متوسط وقت انتظار العميل في صف الأنتظار .

٥ ــ نسبة الانتفاع من مراكز الخدمة.

٦ ــ معدل الاداء الأمثل للقائم بالخدمة.

٧ ــ العدد الأمثل لوحدات الخدمة (عدد العاملين أو الآلات).

٨ ــ عدد العمال اللازمين في النسق المسدود (المؤجل) لضمان عدم تجاوز نسبة الطلبات المفقودة (التي تؤجل) رقم معين.

٩ ــ عدد العمال اللازمين في نسق الخدمة المؤجل لضمان عدم تجاوز متوسط وقت الانتظار رقم معين؛ وكم يلزم لضمان عدم تجاوز صف الانتظار رقم معين.

١٠ ــ أثر التغير في واحد أو أكثر من عناصر نسق الخدمة مثل التغير في وقت الخدمة، معدل اداء الخدمة، عدد العاملين،... على كفاءة مركز الخدمة.

نسق صف الانتظار المؤجل Delay - System

لتسهيل العرض سيتم استخدام الرموز التالية :

ل = متوسط معدل ورود العملاء.

م = متوسط معدل الخدمة . $\frac{1}{\text{م}}$ = متوسط وقت الخدمة).

ر = ل/م.

س = عدد نقاط مركز الخدمة أو عدد العاملين بمركز الخدمة.

وسيفترض أن ر< س حيث أن هذا شرط أساسي في هذا النسق ليصل إلى حالة الإستقرار Steady - State حيث أنه خلاف ذلك سيزيد حجم صف الانتظار باستمرار .

ح (صفر) = احتمال عدم وجود أحد من العملاء في النسق.

د = احتمال ورود شخص ليجد مركز الخدمة مشغولا، أي احتمال الانتظار.

ع = نسبة الانتفاع من مركز الخدمة.

ص = متوسط عدد العملاء في صف الانتظار.

ص = متوسط عدد العملاء في النسق.

ق = متوسط وقت انتظار العميل في صف الانتظار.

ق = متوسط وقت انتظار العميل في النسق.

ومن هذا النموذج يمكن تقديم عدد من المؤشرات والمقاييس الإحصائية الهامة، نعرض منها :

$$\text{د} = \frac{\text{س}}{\text{س} - \text{ر}} \; \frac{\text{ر}^{\text{س}}}{\text{س}!} \; \text{ح (صفر)} \qquad (1)$$

حيث $\text{س}! = \text{س}(\text{س}-1)(\text{س}-2) \cdots (3)(2)(1)$

$$\text{ح (صفر)} = 1 \Big/ \left[\sum_{\text{ن}=\text{صفر}}^{\text{س}-1} \frac{\text{ر}^{\text{ن}}}{\text{ن}!} + \frac{\text{ر}^{\text{س}}}{\text{س}!\,(1 - \text{ر}/\text{س})} \right.$$

ويمكن عرض ح (صفر) بدلالة احتمال الانتظار (د) كما يلي:

$$\text{ح (صفر)} = \text{د} \; \frac{\text{س}!\,(1 - \text{ر}/\text{س})}{\text{ر}^{\text{س}}} \qquad (٣)$$

$$\text{ع} = \text{ر}/\text{س} \qquad (٤)$$

$$\text{ص} = \frac{\text{س}\,\text{ر}}{(\text{س} - \text{ر})^{2}} \; \frac{\text{ر}^{\text{س}}}{\text{س}!} \; \text{ح (صفر)} \qquad (٥)$$

$$= \text{د} \; \frac{\text{ر}}{\text{س} - \text{ر}} \qquad (٦)$$

$$\text{ص} = \text{ص} + \text{ر} \qquad (٧)$$

$$\text{ق} = \text{ص}/\text{ل} \qquad (٨)$$

$$\text{ق} = \text{ص}/\text{ل} \qquad (٩)$$

$$= \text{ص} + \frac{1}{\text{م}} \qquad (١٠)$$

وهناك صيغة تسهل من العمل كثيرا، لإيجاد احتمال الانتظار (د) باستخدام عدد من نقاط الخدمة (العاملين) قدرة س بمعلومية هذا الاحتمال باستخدام عدد قدره س ــ ١، وهذه الصيغة كما يلي :

$$\text{د}(\text{س}) = 1 \Big/ \left[1 + \frac{\text{س} - \text{ر}}{\text{ر}} \; \frac{\text{س}-1-\text{ر} \;\; \text{د}\,(\text{س}-1)}{(\text{س}-1-\text{ر})\;\text{د}\,(\text{س}-1)} \right] \qquad (١١)$$

ويمكن الحصول على د (س) من الشكل البياني رقم (١) ;

وفي حالة مراكز الخدمة التي يعمل بها عامل واحد، فإن هذه الصيغ تكون مختصرة إلى درجة كبيرة، كما يلي :

$$\text{ن} = \text{ر} \qquad (١٢)$$

$$\text{ح (صفر)} = ١ - \text{ر} \qquad (١٣)$$

$$\text{ع} = \text{ر} \qquad (١٤)$$

$$\text{ص} = \frac{\text{ر}}{١ - \text{ر}} \qquad (١٥)$$

$$\text{ص} = \text{ص} - \text{ر} \qquad (١٦)$$

$$\text{ق} = \text{ص}/\text{ل} \qquad (١٧)$$

$$\text{ق} = \text{ص}/\text{ل} \qquad (١٨)$$

$$= \text{ق} - \frac{١}{\text{م}} \qquad (١٩)$$

العدد الأمثل لنقاط الخدمة Optmal number of servers

من الطبيعي أن يكون هناك تكلفة لانتظار العملاء نتيجة للوقت الذي يضيع في نسق صف الانتظار، وإذا ما حاولنا الاقلال من حدة التكلفة، بتخفيض وقت الانتظار، عن طريق زيادة عدد العاملين أو وحدات الخدمة، فإننا بذلك نزيد تكلفة الخدمة. وتساعدنا نظرية صفوف الانتظار على تحديد العدد الأمثل لنقاط الخدمة والذي يؤدي إلى جعل مجموع التكلفتين، تكلفة الانتظار وتكلفة الخدمة، أقل ما يمكن.

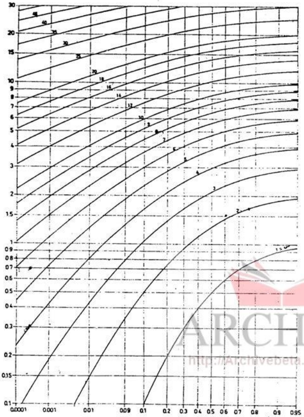
فلنفرض أن عدد نقاط الخدمة (س ــ ١) وأن :

ك_1 = تكلفة إنتظار عميل واحد لوحدة وقت واحد.

ك_2 = تكلفة نقطة الخدمة في وحدة وقت واحدة.

فإن زيادة عدد نقاط الخدمة ليصبح عددها س، يكون اقتصاديا بصفة عامة إذا كانت س≳ر، وخلاف ذلك يكون اقتصاديا في حالة ما إذا كان :

$$\frac{\text{ك}_2}{\text{ك}_1} \geqslant \text{ر} \left[\frac{\text{ن}\,(\text{س}-١)}{\text{س}-١-\text{ر}} - \frac{\text{ن}\,(\text{س})}{\text{س}-\text{ر}} \right] \qquad (٢٠)$$



د (س، ر)

شكل (١)

نسق صف الانتظار المسدود Blocking System

الرموز المستخدمة في هذا النموذج سبق تعريفها بالنموذج السابق، وفيما يلي بعض الرموز الأخرى :

ب = إحتمال ورود عميل ليجد مركز الخدمة مغلقا (مسدودا).

لَ = معدل الورود الفعال، وهو يمثل معدل الورود الفعلي، بخلاف معدل ورود العملاء (ل) السابق تعريفه.

لً = معدل الطلبات غير المستوفاة (بسبب ورود العملاء

وذهابهم دون اداء الخدمة لوجود مركز الخدمة مشغول (مسدود).

ومن هذا النموذج يمكن تقديم عدد من المقاييس الإحصائية الهامة نعرض منها :

$$\text{ب} = \frac{\text{ر}^{\text{س}}}{\text{س}!} \Big/ \left[\sum_{\text{ن}=\text{صفر}}^{\text{س}} \frac{\text{ر}^{\text{ن}}}{\text{ن}!} \right] \qquad (21)$$

$$\text{ل}' = \text{ل}\ (1 - \text{ب}) \qquad (22)$$

$$\text{ل}'' = \text{ل ب} = \text{ل} - \text{ل}' \qquad (23)$$

$$\text{ع} = \frac{\text{ل}'}{\text{م س}} \qquad (24)$$

$$\text{ح(صفر)} = 1 \Big/ \left[\sum_{\text{ن}=\text{صفر}}^{\text{س}} \frac{\text{ر}^{\text{ن}}}{\text{ن}!} \right] \qquad (25)$$

$$= \text{ب}(\text{س}!) \,/\, \text{ر}^{\text{س}} \qquad (26)$$

والصيغة التالية تمكن من حساب الاحتمال (ب) في حالة تشغيل عدد من نقاط الخدمة قدره س بمعلومية هذا الاحتمال لعدد قدرة (س — ١)

$$\text{ب(س)} = \frac{\text{ر ب}(\text{س} - 1)}{\text{ر ب}(\text{س} - 1) + 1} \qquad (27)$$

والشكل رقم (٢) يعطى قيم ب (س) مباشرة

والصيغ السابقة لنسق صف الانتظار المسدود يسهل عرضها في حالة كون مركز الخدمة يحتوي على نقطة خدمة واحدة (عامل واحد) وهي كما يلي :

$$\text{ب} = \frac{\text{ل}}{\text{ل} + \text{م}} \qquad (28)$$

$$\text{ل}' = \frac{\text{ل م}}{\text{ل} + \text{م}} \qquad (29)$$

$$\text{ل}'' = \frac{\text{ل}^{2}}{\text{ل} + \text{م}} \qquad (30)$$

$$= \frac{\text{ل}'^{2}}{\text{م} - \text{ل}'} \qquad (31)$$

$$\text{ع} = \frac{\text{ل}}{\text{ل} + \text{م}} \qquad (32)$$

$$\text{ع(صفر)} = \frac{\text{م}}{\text{ل} + \text{م}} \qquad (33)$$

$$= \text{ب} \,/\, \text{ر} \qquad (34)$$

العدد الأمثل لنقاط الخدمة :

إن الاقلال من عدد نقاط الخدمة يؤدي إلى زيادة احتمال إغلاق مركز الخدمة في وجه الطلبات الواردة، وبالتالي ضياع فرص للربح، وعلى العكس فإن زيادة عدد نقاط الخدمة يؤدي إلى زيادة تكلفة الخدمة، إن نظرية صفوف الانتظار تمكن من إيجاد العدد الأمثل لنقاط الخدمة والذي يجعل الربح أكبر ما يمكن، فبفرض أن هناك (س — ١) نقطة خدمة وأن :

ك_1 = متوسط الربح الناتج من اداء الخدمة لعميل واحد.

ك_2 = تكلفة نقطة الخدمة في وحدة الوقت (وقت الخدمة).

فإن تشغيل نقطة خدمة اضافية، أي النقطة رقم (س) يصبح أمرا إقتصاديا إذا كان

$$\frac{\text{ك}_2}{\text{ك}_1} < \text{ر}\ [\text{ب}(\text{س} - 1) - \text{ب}(\text{س})] \qquad (35)$$

ونعرض هنا كمثال لإحدى هذه الخدمات، وهي خدمة إعارة الكتب، ويمكن بهذا الصدد عرض حالتين :

الحالة الأولى : حالة ورود المستفيدين طلبا للإعارة، والخدمة هنا هي إنهاء اجراءات اعازة الكتاب. وهذه الحالة يمكن التعبير عنها بنسق صف الانتظار المؤجل، فبفرض أن طلبات الاعارة ترد بطريقة عشوائية بمعدل ١٨ طلباً في الساعة وأن خدمة الإعارة تستغرق في المتوسط ثلاث دقائق. وتوجد نقطة خدمة واحدة.

وباستخدام الرموز فإن ل = ١٨ م = ٢٠

ر = ل /م = ١٨ / ٢٠ = ٩و٠

د = ر = ٩و٠ من المعادلة [١٢]

ح (صفر) = ١ - ر = ١ - ٩و٠ = ١و٠ [١٣]

ع = ر = ٩و٠ [١٤]

ص = ر / (١ - ر) = ٩و٠ / (١ - ٩و٠) = ٩ [١٥]

ص = ص - ر = ٩ - ٩و٠ = ١و٨ [١٦]

ق = ص / ل = ٩ / ١٨ = ٣٠و٠ دقيقه [١٧]

ق = ص / ل = ١و٨ / ١٨ = ٢٧و٠ دقيقه [١٨]

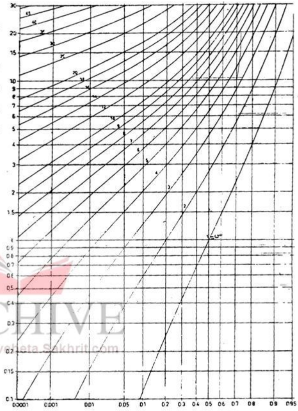
ويلاحظ أن هذه المؤشرات تبدو غير مرضية، ونعرض فيما يلي لهذه المؤشرات مع افتراض استخدام نقطة خدمة أخرى.

نوجد أولا احتمال الانتظار د (س) باستخدام الصيغة رقم (١١).

د (س) = ١ / [١ + (س - ر) / ر · (س - ١ - ر)^د (س - ١) / (س - ١ - ر)^د (س - ١)]

= ١ / [١ + (٢ - ٩و٠) / ٩و٠ · (٢ - ١ - ٩و٠) (٩و٠) / (٢ - ١ - ٩و٠) (٩و٠)]

= ١ / [١ + ١و١ / ٩و٠ · (١ - ٨١و٠) / (١و٠) (٩و٠)] = ٩٢٧٩و٠



ب (س ، و)
شكل (٢) ر

تطبيقات نظرية صفوف الانتظار في المكتبات

تقدم المكتبات، سواء العامة أو المتخصصة العديد من الخدمات لروادها، منها خدمات الإرشاد والتوجيه، الخدمة المرجعية، الإعارة، حجز الكتب، التصوير،... وكل من هذه الخدمات يعد في حد ذاته مركزا للخدمة له طاقمه الخاص (نقاط الخدمة)، ويتم قدوم الرواد بطريقة عشوائية لطلب أي من هذه الخدمات، فإذا ما كان مركز الخدمة مشغولا، يبدأ تكوين صف الإنتظار.

هذا الرقم يمكن الحصول عليه من الشكل البياني رقم (١) بتتبع المنحنى الخاص بـ س = ٢ ٤ عند ر = ٠,٩ .

$$\text{ح (صفر)} = \text{د}\ \frac{\text{س! (١ - ر/س)}}{\text{ر}^{\text{س}}} \qquad \text{من [٣]}$$

$$= (\text{٠و٢٧٩})\ \frac{\text{٢ (١-٠و٩/٢)}}{(\text{٠و٩})^{\text{٢}}} = \text{و٣٧٩}$$

$$\text{ع} = \text{د / س} = (\text{٠و٩}) / \text{٢} = \text{٠و٤٥} \qquad [\text{٤}]$$

$$\text{ص} = \text{د}\ \frac{\text{ر}}{\text{س - ر}} \qquad [\text{٦}]$$

$$= (\text{٠و٢٧٩})\ \frac{\text{٠و٩}}{\text{٢-٠و٩}} = \text{٠و٢٢٨}$$

$$\text{ص} = \text{ص+ر} = \text{٠و٢٢٨} + \text{٠و٩} = \text{١و١٢٨} \qquad [\text{٧}]$$

$$\text{ق} = \text{ص/ل} = \text{٠و٢٢٨ / ١٨} = \text{٠و٧٦ دقيقة} \qquad [\text{٨}]$$

$$\text{ق} = \text{ق} + \frac{\text{١}}{\text{م}} - \text{٠و٧٦} + \text{٣} = \text{٣و٧٦ دقيقة} \qquad [\text{٩}]$$

الحالة الثانية : عملية الإعارة.

تعد عملية إعارة الكتب (أو الدوريات أو أية مواد أخرى يسمح باعارتها) من التطبيقات الهامة لنظرية صفوف الانتظار في المكتبات.

وهنا يعد كل كتاب مركز خدمة وعدد النسخ نقاط الخدمة، والخدمة هنا هي سحب الكتاب من المكتبة واعارته لفترة للطالب، ووقت الخدمة هو فترة الإعارة. وفي حالة عدم تواجد الكتاب فإن نظام المكتبة قد يسمح بحجزه وقد لا يسمح بذلك، كما أنه في حالة السماح بالحجز قد نواجه بعدد من التصرفات المختلفة من جانب المستفيدين، حيث نجد منهم من يطلب حجز الكتاب والبعض الآخر لا يهتم بذلك، وسنعرض هنا على أي حال لكل من هذين الموقفين:

النموذج الأول : يسمح هنا بتلبية طلبات الإعارة سواء كان ذلك مباشرة في حالة تواجد الكتاب أو عن طريق الحجز في حالة عدم تواجده، وقائمة الحجز هنا تمثل صف الانتظار. وهذه الحالة يتم التعبير عنها بالنموذج الرياضي الخاص بنسق صف الانتظار المؤجل، وقد سبق أن عرضنا أمثلة رقمية لهذا النموذج.

النموذج الثاني : عدم وجود حجز للكتاب.

وهذه الحالة يتم التعبير عنها بنموذج صف الانتظار المسدود فلنفرض أن متوسط معدل ورود طلبات اعارة للكتاب (كتاب معين أو مجموعة بديلة) هو ٩٦ طلبية في السنة وأن متوسط فترة الإعارة شهر. أي أن ل = ٩٦ م = ١٢ ونعرض في الجدول التالي بيان بالمؤشرات الإحصائية لهذا النسق بافتراض أعداد مختلفة من النسخ لهذا الكتاب.

س : عدد نسخ الكتاب

ب : احتمال رفض الطلب لعدم وجود الكتاب.

ح (صفر) احتمال تواجد جميع النسخ بالمكتبة.

لَ : معدل الإعارة الفعال.

لً معدل الطلبات غير المستوفاة

ع : نسبة الإنتفاع بالكتاب

س	١	٢	٣	٥	٧	١٠	١٥
ب	٠,٨٩	٠,٧٨	٠,٦٨	٠,٤٨	٠,٣١	٠,١٢	٠,٠٠٩
ح (صفر)	٠,١١	,٠٢٤	٠,٠٠٨	٠,٠٠٢	,٠٠٠٧	,٠٠٠٤	٠,٠٠٠٣
لَ	١٠,٧	٢١,١	٣١,٢	٥٠	٦٦,٤	٨٤,٤	٩٥,١
لً	٨٥,ذ	٧٤,٩	٦٤,٨	٤٦	٢٩,٦	١١,٦	٠,٩
ع	٠,٨٩	٠,٨٨	٠,٨٧	٠,٨٣	٠,٧٩	٠,٧٠	٠,٥٣

ولتوضيح خطوات حساب هذه المؤشرات، نبدأ أولا بحساب قيمة (ب) أي احتمال رفض الطلب لعدم وجود الكتاب، بافتراض أنه يوجد لدينا نسخة واحدة من الكتاب.

$$\text{ب (١)} = \frac{\text{ل}}{\text{ل+م}} = \frac{\text{٩٦}}{\text{٩٦+١٢}} = \text{٠و٨٩} \quad \text{من صيغة [٢٨]}$$

وبعد ذلك نستخدم الصيغة رقم (٢٧) لإيجاد قيمة ب مع زيادة عدد النسخ

$$\text{ب}(\text{س}) = \frac{\text{ر ب}(\text{س}-1)}{\text{ر ب}(\text{س}-1)+\text{س}}$$

$$\text{ب}(٢) = \frac{\text{ر ب}(١)}{\text{ر ب}(١)+٢} = \frac{٨(\text{٠و٨٩})}{٨(\text{٠و٨٩})+٢} = \text{٠و٧٨}$$

$$\text{ب}(٣) = \frac{\text{ر ب}(٢)}{\text{ر ب}(٢)+٣} = \frac{٨(\text{٠و٧٨})}{٨(\text{٠و٧٨})+٣} = \text{٠و٦٨}$$

وهكذا وهذه البيانات يمكن الحصول عليها مباشرة من الشكل رقم (٢). وبعد ذلك نبدأ بحساب باقي المؤشرات.

$$\text{ح}(\text{صفر}) = \text{ب}(\text{س}!)/\text{ر}^{\text{س}} \qquad [٢٦]$$

وعلى سبيل المثال في حالة وجود نسختين من الكتاب يكون

$$\text{ح}(\text{صفر}) = \text{٠و٧٨}\,(٢!)/(٨)^{٢} = \text{٠و٠٢٤}$$

$$\text{لَ} = \text{ل}\,(١-\text{ب}) \qquad [٢٢]$$

وفي حالة وجود خمس نسخ من الكتاب يكون،

$$\text{ل} = ٩٦\,(١ - ٠,٤٨) = ٥٠$$

ويكون معدل طلبات الاعارة التي ترفض بسبب اعارة جميع النسخ وعدم تواجدها على الرف

$$\text{ل}' = ٩٦ - ٥٠ = ٤٦ \qquad [٢٣]$$

وكذلك ٢

$$\text{ع} = \text{ل}'/\text{م س} \qquad [٢٤]$$

$$= ٥٠/١٢(٥) = \text{٠و٨٣}$$

ولا شك أن هذه المقاييس الاحصائية تمكن الادارة من اتخاذ القرارات بطريقة صحيحة لما توفره من معلومات ومؤشرات منها :

١ ــ متوسط عدد الرواد الذين ينتظرون الكتاب، أي المسجلين بقائمة الانتظار.

٢ ــ متوسط وقت انتظار العميل إلى أن يجاب طلبه ويتمكن من استعارة الكتاب.

٣ ــ نسبة الانتفاع من الكتاب، إي نسبة الوقت الذي يكون الكتاب فيه معارا.

٤ ــ تحديد الفترة المناسبة للإعارة أو تغييرها بما يحقق أقصى إشباع ممكن للرواد.

٥ ــ تحديد العدد المناسب للنسخ للكتاب الواحد.

٦ ــ تحديد أثر تغير فترة الاعارة أو عدد النسخ على مستوى اشباع طلبات الرواد.

٧ ــ تحديد عدد النسخ اللازمة (في حالة عدم السماح بالحجز) بما يضمن عدم تجاوز نسبة عدم إشباع الطلبات رقما معينا.

٨ ــ تحديد عدد النسخ اللازمة في حالة اتباع نظام الحجز لضمان عدم تجاوز نسبة الطلبات التي يتم انتظارها رقما معينا، وكذلك تحديد عدد النسخ بما يضمن عدم تجاوز متوسط وقت الانتظار رقما معينا وكذا لضمان عدم تجاوز قائمة الانتظار رقما معينا.

المراجـــع

1 - Cooper, R.B., Introduction to Queueing theory, Macmillan, New York, 1972.

2 - Gross, D. and C.M Harris, Fundamentals of Queueing theory, John Wiley and Sons, New York, 1974.

3 - Hamburg, M. et al, Library Planning and decision making Systems, The MIT Press, Cambridge, 1974.

4 - Køsten, L., Stochastic theory of Service systems, Pergamon Press, Oxford, New York, 1973.

5 - Lee, A.M., Applied Queueing theory, st. Martin's Press, New York, 1966.

6 - Morse, P.M., Library effectiveness: a system approach, MIT Press, cambridge, Mass., 1968.

7 - Rowley, J.E and Rowley, P.J., Operations research: a tool For Library management, American Library association, Chicago, 1981.

كاتب جلبي «حاجي خليفة»

علي رضا قره خان
قسم المخطوطات – عمادة شئون المكتبات
جامعة الملك سعود

هو الفاضل العالم فاتح أبواب الغرب الذي أثر في شيوع العربية في الدولة العثمانية وتقرن شخصيته بالاحترام بين العلماء العثمانيين لعلمه بالفنون الشرقية والغربية، ويذكر بين أكابر البارعين لريادته لفترة النهضة الجديدة باجتهاده وتأليفه.

وأحسن طريق إلى ترجمته هو النظر في كتابه المسمى بـ (**سلم الوصول إلى طبقات الفحول**) ولقد كتب في آخر القسم الأول منه جزءا من ترجمته التي تصل إلى تاريخ تأليفه. وتحدث عن حياته بما يلي :

«أنا العبد الفقير مصطفى بن عبدالله القسطنطيني مولدا ومنشئا الحنفي مذهبا والاشراقي مشربا والشهير بكاتب جلبي[1] بين علماء بلدنا وبحاجي خليفة[2] بين أهل الديوان. لما كان على العبد أن يذكر ما أنعمه الله تعالى من واجب الشكر على هذه النعم، وقد تحدث بعض العلماء عن ترجمته في آخر تصنيفه كالجلال السيوطي والشعراني وياقوت الحموي وابن حجر وكتب جملة منهم رسائل مستقلة في ترجمتهم، وأنا أيضا متبع طريقهم وشاكر إلى الله تعالى على ما أنعمني لا أرى بأسا من ذكر وايراد ترجمتي هاهنا.

على ما سمعت من والدتي أنني ولدت في شهر ذي القعدة سنة ١٠١٧ هجرية. دخل والدي إلى الأندرون[3] وخرج منه بوظيفة معتادة فلحق بزمرة العسكرية وصار يذهب ويرجع من السفر مطمئنا إلى هذه الوظيفة، وكان رجلا صالحا يداوم مجالس العلماء والمشايخ ويتعبد في الليالي. وعندما أصبح عمري خمس أو ست عيّن لي الامام عيسى خليفة القيرمي معلما ليعلمني تلاوة القرآن الكريم وتجويده فتعلمت منه تلاوة القرآن ومن التجويد المقدمة الجزرية وشروط الصلاة. ثم سمعت ما تعلمت على ابراهيم أفندي ونفس زاده في دار قرّاء مسيح باشا وزكريا أفندي واكتفيت بعرض النصف الأول من القرآن العظيم. ثم درست على الامام الياس خوجه التصريف والعوامل وتعلمت كتابة الخط من الخطاط المعروف ببوكري أحمد جلبي. ولما صار عمري أربعة عشر ألحقني والدي بزمرته وجعلني متمرنا في القلم المعروف بمحاسبة الأناضول من أقلام الديوان سنة ١٠٣٢هـ ولقد تعلمت قواعد الحساب وخط السياقة في مدة يسيرة من خلفاء هذا القلم واشتركت مع والدي في السفر مع عساكر السلطان لاخماد ثورة أبازا باشا سنة ١٠٣٣ هـ وشاهدت (حرب ترجان) الواقعة بجوار القيصرية في هذه السنة ثم ذهبت مع والدي إلى سفر لبغداد سنة ١٠٣٥ هـ ولقد تعرضنا في هذا السفر إلى القحط والغلبة وانقطاع الآمال مدة المحاصرة التي دامت تسعة أشهر. تحملنا هذه المشاق لأنها نجمت عن الحرب وشملت العموم.

ولما رجعنا من هناك إلى الموصل وتقطعت بنا الآمال توفي والدي في ذي القعدة سنة ١٠٣٥ هـ ودفن في الجامع الكبير. وبعدما مرّ شهر من وفاة أبي تبعته وفاة عمي في منزل جرحلو قريب من نصيبيين. فرحلت من هناك برفقة جماعة من أقربائي إلى ديار بكر وأقمت بها مع أحد أصدقاء أبي الذي يلقب بمحمد خليفة الذي سجلني طالبا في القلم المشتهر بمقابلة الفرسان» .

وإلى هنا تنتهي ترجمته الواردة في (**سلم الوصول**) ونجد بقيتها في آخر كتابه (**ميزان الحق في اختيار الأحق**) وهي أيضا كما يلي:

«وصل الفقير إلى استانبول مع عساكر الاسلام سنة ١٠٣٨ هـ بعدما حصر في محاصرة أرضروم سنة ١٠٣٦ هـ و١٠٣٧ هـ وكان وقت اشتهار قاضي زادة أفندي مررت يوما بوعظه في جامع محمد الفاتح وتعجبت من وعظه. كان المرحوم طلق اللسان كثير التأثير على السامعين بخطبه» . وجذبت هذه الخطبة كاتب جلبي وشرع بعدها في تحصيل العلم فجدد مقدمات العلم العالية وأعادها في مدة قليلة. ثم داوم الحضور إلى دروس الشيخ المزبور بعدها سافر إلى همدان وبغداد سنه ١٠٣٩ هـ ولما رجع من السفر سنة ١٠٤١ هـ التزم دروس الشيخ وتعلم من قاضي زاده تفسير القاضي واحياء علوم الدين وشرح المواقف والدرر والطريقة المحمدية، ثم سافر مع الوزير الأعظم محمد باشا إلى مشتى حلب. وحج في ذلك الحين ثم التحق بالجيش. لما كان الجيش في أرضروم صاحب مناقش فيه مع بعض العلماء وبعدها سافر مع السلطان مراد الرابع إلى روان ورجع إلى استانبول سنة ١٠٤٥ هـ. فعندئذ صمم على العلم والمطالعة فشرع في تحرير أسماء الكتب التي كان قد طالعها في دكاكين الوراقين مدة اقامته في حلب. ثم حصّل ورثة فأنفقها كلها في شراء الكتب وحصر نفسه بحرص عظيم إلى اكمال مشروعه. فقد كان يحب مطالعة كتب التواريخ والطبقات والوفيات. ثم انتقل له من أقربائه التجار ورثة نحو عشرة حمولة جمل دراهم فدفع حمولة ثلاثة منها في شراء الكتب وتصرف في الباقي لتأمين معيشته وترميم بيته. تخلى عن الاشتراك في السفر مع السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ وفضّل الاشتغال بالعلم وانتخب مصطفى الأعرج معلما له بين العلماء. فقد كان أبرع مشايخه في العلوم العقلية والنقلية وشيخه كان يفضله على سائر طلابه. وعلى ذلك التفضيل نمت بينهم الألفة والانس ودامت صحبتهما وألفتهما عدة سنين. سمع منه تفسير البيضاوي. ومن جملة أساتذته عبدالله الكردي كان متقنا للعلوم العقلية والنقلية وكجي زاده محمد أفندي كان مدرسا عاما في المدرسة السليمانية ١٠٥٠ هـ وصاحب تحقيق وتدقيق في اللغة العربية لا يتكلم في العلوم العقلية فيما لا يعرفه. ومن مشايخه أيضا ولي الدين أفندي تلميذ أحمد حيدر السهراني درس عليه المنطق والمعاني والبيان سنة ١٠٥٠ هـ. لخص من ملوك الدول ١٥٠ ملكا من كتب التواريخ بعنوان (الفذلكة) في دفتر وأمره شيخ الاسلام يحيى أفندي أن يبيضها لارسال نسخة منها إلى جهة السلطنة ولكنه لم يهتم بهذا الأمر ولزم شيخه الواعظ ولي الدين المنشاوي وشرع في دروس النخبة والألفية لأمر اتصال السند في سنة ١٠٥٢هـ وأخذ عنه دروس فنون أصول الحديث مدة سنتين. وهذا الشيخ كان مجازا من شيخه الشيخ ابراهيم اللقاني في مصر بالسند.وبسندهما اتصل سند الفقير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. مرت سنة ١٠٥٣ هـ و١٠٥٤هـ في مداومة الدروس والاشتغال. اجتهد نحو عشرة سنين ليلا ونهارا في مطالعة الكتب وتتبع الفنون والقاء الدروس على الطلبة سنة ١٠٥٥ هـ نشبت حرب جزيرة كريت وبهذه المناسبة اجتهد في رسم خريطة للكرة الأرضية واطلع على الرسائل المتعلقة بها وفي هذه الأثناء وقع الخلاف بينه وبين خليفة المقابلة في شأن توليه منصب خلافة الطريقة بموجب العادة التي سلك فيها وخدمها عشرين سنة. فعقب هذا النزاع استقال من وظيفته الرسمية واشتغل في التحرير مدة ثلاث سنوات. ثم تعلم عن شيخه مصطفى الأعرج شرح العضدية وشرح أشكال التأسيس وشرح الجغميني وعروض الأندلسي. وكان قد درس أصول استخراج التقويم من زيج ألغ بك. كما سمع في التفسير دروس التوضيح والاصفهاني وقاضي مير وآداب البحث والفناري وشرح التهذيب والشمسية. ودرّس الطلاب مقدمات الصرف ومن المنطق الفناري وشرحه والشمسية والجامي والمختصر والفرائض والملتقى والدرر. ثم ضاق ذرعاً بالتدريس فاشتغل بعلم الطب ورأى كتب الحروف والأسماء والخواص بعد ذلك عاد إلى طبيعته. وفي حدود سنة ١٠٥٧ هـ أخذ منه محمد بن أحمد الأقحصاري الرومي دروس الرياضيات وشرح الأشكال في الهندسة ومحمدية علي القوشجي ونزولاً على طلب هذا التلميذ المجتهد كتب شرحا على المحمدية حتى نصفه ولم يكمله بعد.

ومن هنا نسوق القول على مؤلفاته لنرى ما صنف مؤلفنا كاتب جلبي من آثار قيمة ومهمة.

١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : هذا الكتاب من نفائس آثار العثمانيين في الكتابة وفي أحوال الكتب الذي يسميه الفرنسون ببليوغرافي وهو ثمر اجتهاد وسعي عشرين سنة. يحتوي الكتاب التعريفات والمعلومات اللازمة في موضوعات وغايات العلوم والفنون والمعلومات العلمية المندرجة في مقدمته نافعة جداً لعموم أهل المطالعة والتحقيق.

وقد استفاد كاتب جلبي من الأفاضل الذين سبقوه بكتبهم في هذا المجال ومن كتب هؤلاء (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) و(نوادر الأخبار في مناقب الأخيار) كلاهما تأليف طاشكبري زادة. قال مؤلفنا في آخر كتابه (ميزان الحق في اختيار الأحق[٤]) يسر الله عز وجل له في مدة اقامته في حلب رؤية الكتب في دكاكين الوراقين وبالهام من الله تعالى شرع في تحرير أسامي الكتب ورتبه على حروف الهجاء. لم يسبقه إليه أحد من العلماء، وقد رتب كتبهم على حروف الهجاء وذكر تواريخ وفيات المؤلفين وتواريخ تأليف كتبهم وأشار إلى أبوابها وفصولها. وأورد فيها نحو ٩٥١٢ اسما لمؤلف وشارح ونحو ١٤٥٠١ اسما لكتاب ورسالة وشرحا وحاشية وتعليقا وترجمة. وأضاف إليه أكثر من ثلاثمائة موضوعا علميا وأدرج فيه أسامي مؤلفات من التواريخ والطبقات ومن كتب المكتبات التي وردت الى الوراقين وما رأى طول عشرين سنة. وألحق به مباحث ومسائل غريبة ليكون علما كاملا في العلوم وأحوال الكتب وأسماه (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[٥]) واستجابة لطلب العلماء بيّض مسودته وقسمها إلى مواد العلوم وعرضها عليهم فاستحسنوه[٦]. وهذه النسخة المبيّضة توجد في روان كوشلي برقم (٢٠٥٩) في متحف طوبقا بوسراي. ولم يبيّض البقية بسبب وفاته رحمه الله.

وبضم نسخة المسودة إلى النسخة المبيّضة تخرج نسخة كاملة لكشف الظنون بخط مؤلفه. المسودة موجودة في مكتبة ولي الدين أفندي تحت رقم (١٦١٩) تبدأ من ورقة ٥٢ وتنتهي في الورقة ٢٢٢. وقد ترى فيها خلال السطور وفي الهوامش اضافات استدركها مؤلفه بخطه فيما بعد. وترتبت على إضافتها اضطرابات ونتوءات لم يقدر أن يقرأها أحد غيره.

علم الفقه يبدأ فيها من الورقة ١١٥ فسقطت من هذا الفن أربعة ورقات واستكمل هذا النقص من (مفتاح السعادة) ثم عثر على هذه الورقات بين كتب العالم الفاضل اسماعيل صائب أفندي وأضيفت مكانها وهكذا استكمل النقص وعوض الضياع.

كان جار الله ولي الدين أفندي مالك المسوّدة المذكورة كتب بأولها بخطه ما يلي : «أعلم أن هذا الكتاب المسمى بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون وتأليف أستاذ أستاذي المعروف بكاتب جلبي». بيضها وقسمها إلى مواد العلوم ولكن لم يكملها لأجل وفاته سنة ١٠٦٧ هـ وبعد وفاته اجتمع ستة من العلماء حاولوا أن يبيضوها ولكن لم ينجحوا في ذلك».

اختصر الأستاذ المتبحر السيد الحسين العباسّي هذه المسودة التي تبدأ بمادة (دروس) من جهة اللفظ وأضاف إليها أسامي كتب جديدة والمادة التي تمر في (الابتهاج في ديباجة القاموس) دليل على أن هذه المسوّدة تأليف الحسين العباسي النبهاني المتوفى في حلب سنة ١٠٩٥ هـ. وما عدا هذا يرى الذين قارنوا هذا المختصر بكشف الظنون أن هناك أسامي كتب لم ترد في الكشف.

أول من ذيّله من العلماء الأفاضل ويشنه زادة محمد أفندي المتوفى في استانبول سنة ١٠٩٢ هـ. أضاف إليه عددا من أسامي الكتب وبقي مسوّدا لم يطبع. يليه ذيل عربه جيلر شيخي (م١١٨٩ هـ). طبع ذيل عربه جيلر شيخي ابراهيم أفندي مع كشف الظنون في مجلدين مرة في مصر سنة ١٢٧٤هـ ومرة في استانبول سنة ١٣١٠هـ. قيل في مقدمة الكشف الطبعة التركية الحديثة أن طبعة استانبول منقولة عن طبعة مصر سنة ١٢٧٤هـ. وذيّله حنيف زاده أحمد طاهر أفندي (م١٢١٧هـ) وأضاف إليه عناوين ٥٠٦ كتابا وأسماه (أثرنو). ذيله أيضا شيخ الاسلام عارف حكمت بك (م١٢٧٥هـ) وتوجد لدينا نسخة منه تصل إلى حرف الجيم. وذيّله اسماعيل صائب أفندي (م١٣٥٩هـ) وألحق به أسامي الكتب والايضاحات في أحوال الكتب على هوامش احدى نسخ كشف الظنون المطبوعة وكل هذه الملحقات بيضّت وقوبلت على مؤلفه قبل وفاته. وهو من الذيول القيمة التي ذيّلت به.

ألحق اسماعيل باشا البغدادي (م ١٩٢٠م) به ذيلا يحتوي أكثر

من عشرة آلاف اسم مؤلف وكتاب بعد اجتهاد ثلاثين عاما أسماه (ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون). لقد صنّف نفس المذيّل كتابا يتضمن تراجم المؤلفين المذكورين في ذيله وأسماه (هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين). كما وضع كاتب جلبي (سلم الوصول إلى طبقات الفحول) لتراجم علماء كشف الظنون. قام أحد من العلماء باختصاره واصلاح كشف الظنون بعدما دقق (فهرست ابن النديم) والكشف في كتاب أسماه (التذكار الجامع للآثار) له نسخة مخطوطة في مكتبة يني جامع برقم (٨١٥). وقد نشر غوستاف فلوكل. كشف الظنون في سبع مجلدات في ليبزك خلال سنين ١٨٣٥ ــ ١٨٥٨م ووضع فيه نص الكشف أعلى الصحيفة وترجمته باللغة اللاتينية تحت الصحيفة. وذكر في مقدمته أنه رأى نسخا للكشف من تلك النسخ مسوّدة المؤلف الموجودة في مكتبة الأكاديمية الشرقية برقم (٣٥٢) واستعان بالنسخة المنسوخة سنة ١١٧٠ هـ والتي جاءت فيها أسامي الكتب الجديدة والكتب المؤلفة قبل كشف الظنون والتي بعده وقال أيضا إنه استفاد كثيرا من ٤٠٠ كتاب مصنفة في الطبقات والتواريخ في تصحيح المواضع الخالية التي أخلاها كاتب جلبي في تصحيح تاريخ الوفيات. جلده السابع يحتوي فهارس المكتبات التي بلغ عددها ٢٦ مكتبة وهي (فهرس مدرسة الأزهرية ومدرسة أبو الذهب محمد بك وغيرها وفهرس مكتبة رودس وفهارس مكتبات استانبول منها مكتبة فاتح والسليمانية وقلج علي باشا وكوبرلي وشهيد علي باشا وداماد ابراهيم باشا ويني جامع وعاطف أفندي وأياصوفيا ونور عثمانية وراتب باشا ولاله لي وفهارس مكتبات حلب ودمشق).

وقد اطلعنا في مقدمة فلوكل أن (Petisdelaroix) معلم اللغة العربية في كلية باريس قد ترجمه إلى اللغة الفرنسية وختمها في ٢٨ صفر سنة ١١١٠هـ. ومن المعلوم أنه نشر أخيرا باهتمام الأستاذ شرف الدين بلتقيا ورفعت بيلكه الكليسي في جلدين في استانبول سنة ١٩٤١ م ــ ١٩٤٣م . وقد أشار الناشران في حواشي هذا الطبعة إلى بعض أخطاء فلوكل.

٢) تقويم التواريخ : ألفه بمقام الفهرس لكتابه المسمى (بالفذلكة) ورتبه بطرز القرونولوجي كما يسميه الغربيون. أنشأه بأسلوب رائق مملوّ بالعبارات الناصعة باللغة التركية والفارسية وأكمله خلال شهرين في سنة ١٠٥٣ هـ وهو كتاب قيم في الفهرسة والوقائع. في أواخر سنة ١٠٥٨ هـ أرسله شيخ الاسلام عبدالرحيم أفندي إلى الوزير الأعظم قوجه محمد باشا وأوصى له بجائزة يستحقها مؤلفه وبناء على هذه التوصية نال مرتبة الخليفة الثانية كجائزة. نشره ابراهيم متفرقة مؤسس الطباعة في الدولة العثمانية مع اضافات ألحقها به لسنة ١١٤٦ هـ وذيله صاحب الذيل بذيل عطائي على (الشقائق النعمانية). لشيخي محمد أفندي من سنة ١٠٥٩ إلى سنة ١١٤٤ هـ وترجم إلى اللغات الأوربية منها اللغة الايطالية من قبل المستشرق رينالد وقارلي وطبع في فندك سنة ١٦٩٨م. ذيله على سعاوي أفندي من سنة ١١٤٧ ــ ١٢٢٧ هـ ولكن لم ينشر إلا ١٢٨ صحيفة. قال: أضفت إليه مقدمة وألحقت به حواشي على الرأس والأذيال شاملا للتنبيهات على الآثار التاريخية المتداولة بين الناس تحت عنوان الكشفيات الجديدة طبع في باريس سنة ١٩١٢م.

٣) تحفة الكبار في أسفار البحار: تكلم فيه عن الفتوحات والحروب البحرية للعثمانيين ولقد اهتم ابراهيم متفرقة بطبعة سنة ١١٤١هـ. وترجم إلى اللغة الانكليزية والمخطوطة الموجودة في أندرون همايون تحتوي هوامشها على تعليقات بخط المؤلف. تتضمن الحروب البحرية ورسوم خاصة لقناة (ابنه بختي). وطبع أخيرا باعتناء صفوت بك الذي كان من أمراء البحرية وعضوا للجنة التاريخ العثماني وأضاف بعض الرسوم إليه.

٤) جهاننما : كتاب قيم من الكتب القديمة في فن الجغرافيا التي كتب باللغة العثمانية بأسلوب هذا الفن الجديد. يقع في ٦٤٨ صحيفة كبيرة وترجم من بعد إلى اللاتينية وكان سابقا لممالك النصارى، ولم يدرج في الكتب الاسلامية فانتخب له من كتاب (أطلس مينور) خرائطا وأرادوا ترجمته. فترجمه من اللغة اللاتينية الشيخ محمد الاخلاصي الراهب الفرنسي خلال سنة

ونصف وأسماه (لوامع النور). ثم أسلم هذا الراهب الفرنسي ومن الممكن أن يكون هذا الكتاب القيم والهام مرجعا للمتتبعين أقسام تاريخ الجغرافيا وفلسفتها التي في التقديم وطبع باعتناء ابراهيم متفرقة سنة ١١٤٥ هـ، وخرائطه قيمة نافعة جدا.

و(جغرافية روم ايلي وبوسنة) التي ترجمها المؤرخ هامر إلى اللغة الألمانية ونشرها في فيينا سنة ١٨١٢م ليست بكتاب جديد، بل قطعة وقسم من هذا الكتاب غير المطبوع. قال ناشره ابراهيم متفرقة في آخر الطبعة إنه سيضع له ذيلا مكملا في الجلد الثاني ولكنه لم يحقق ما وعد. والنسخة مكتوبة بخط مؤلفها حتى نصفها وتوجد في مكتبة أندرون همايون.

٥) **سلّم الوصول إلى طبقات الفحول**: أنشأه في تراجم أحوال المؤلفين المذكورين في كشف الظنون باللغة العربية ورتبه على حروف الهجاء في جلد كبير ووضعه على ثلاثة أقسام أورد في القسم الأول تراجم الأحوال وفي القسم الثاني الكنى والأنساب وفي القسم الثالث الفوائد التاريخية. النسخة فريدة مكتوبة بخط مؤلفها وموجودة في شهيد علي باشا برقم (١٨٧٧).

٦) **رجع الرجيم بالسين والجيم** : جمع فيه مسائل غريبة وفتاوى عجيبة وهو غير مطبوع.

٧) **دستور العمل لاصلاح الخلل**(٧): مرتب على مقدمة وثلاثة فصول. تكلمت المقدمة عن أطوار الدولة والفصل الأول عن الرعايا والفصل الثاني عن العساكر والفصل الثالث والآخير عن أحوال بيت المال وهي رسالة جيدة ومفيدة من جهة تدبير أمور الدولة والسياسة. نشره شانسي أفندي مع كتاب (قوانين آل عثمان درمضامين دفتر همايون) الذي ألفه عين علي أفندي من الماليين العثمانيين المعروف سنة ١٠١٦ هـ.

٨) **الالهام المقدس من الفيض الأقدس**: وهو رسالة باللغة التركية في شروط الصلاة وذكر فيها كيفية أداء الصلاة عند فقد ادراك الوقت في الأقطاب وتطبيق طلوع الشمس من المغرب في فن اشراط الساعة التي تحوى مباحث التوجه عند أداء الصلاة في النقطة المصادفة لجهة مكة المكرمة باعتبار أن الأرض كروية.

٩) **تحفة الأخبار في الحكم والأمثال**: ألفه باللغة العربية في فن المحاضرة أغلبه في الأدب.

١٠) **جامع المتون** : مجموعة علمية فيها ثلاثون متنا متنوعا. ثم اختصره في متنين نظيرة على، كتاب على القوشجي المسمى بـ (محبوب الحمائل) وكلاهما لم يطبع.

١١) **فذلكة أقوال الأخبار في علم التاريخ والأخبار**: تاريخ عام باللغة العربية في حجم متوسط ومبني على مقدمة وثلاثة أصول وخاتمة. أدرج فيه ألقاب الملوك وأسماء الدول وبعض الفوائد التاريخية والأوليات على ترتيب حروف الهجاء.

١٢) **الفذلكة** : تاريخ منقح في وقائع الدولة العثمانية من سنة ١٠٠٠ ـــ ١٠٦٥ هـ وطبع في مجلدين.

١٣) **ميزان الحق في اختيار الأحق** : كتاب حكم وضعه في حل وحسم المسالك بلسان الاعتدال وحشاه غفلة بالقيل والقال غير النافع. طبع ثلاث مرات بين سلسلة نشريات (كتابخانة أبو الضيا). أدرج في نهايته بعض الوصايا في الأخلاق الاسلامية كما أدرج فيه ترجمته.

١٤) **شرح المحمدية** : كتبه ليكون شرحا على محمدية الفاضل الشهير علي القوشجي الذي ألفها في علم الهيئة وقدمها هدية إلى السلطان محمد الفاتح. جاء فيها في كتاب (نوييدا) المنسوب لشهري زاده أنه سودها ولكن لم يبيضها.

١٥) **رونق السلطنة** : تاريخ كامل لمدينة استانبول.

١٦) **ترجمة تاريخ فرنكي** : حسب ما أفاده المترجم هو كتاب في تاريخ النصارى. ذكر في نهاية الطبعة الأولى لميزان الحق أن شناسي المرحوم نشر قسما منه في جريدة (تصوير الأفكار) بعنوان (أوتلندن أوروبا تاريخجي) يعني (تاريخ أوربا ابتداء من أوائله).

١٧) نكارستان غفاري لطائفتك اختصاري: اختصر فيه اللطائف الواردة في نكارستان غفاري. قيل فيه في (نوبيدا) إن هذا الكتاب انتقل إلى ملك عزت علي باشا بعد وفاة المؤلف. ثم بوفاة علي باشا انتقل إلى خزينة الهمايون.

١٨) تاريخ وطبقات نوادري اختصاري: جاء في كتاب (نوبيدا) المنسوب لشهري زاده أنه انتقل إلى ملك شهري زاده ثم جهل أمره من بعد.

١٩) بحرية : ذكر أيضا في كتاب (نوبيدا) أنه أنشأه في البحار والدول التابعة للدولة العثمانية.

عدا هذه الكتب التي ذكرناها بين مؤلفاته يوجد في مراد ملا برقم (١١٤٢٩) كتاب ينسب إليه مكتوب على هامشه (تكملة ابن خلدون لكاتب جلبي) ولكن لا يوجد تسجيل يوثّق هذه النسبة. مرقوم بأول هذا الكتاب المسمى بـ (مجمع الغرائب) ما يلي: «وبعد فهذا جمع لطيف انتخبته من الكتب المتداولة المبسوطة والرسائل مما يتعلق بعلم الحكمة والهيئة والميقات والعقائد والسير والتواريخ والخصائص والشمائل ورتبته على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة».

هذا وآخر ما جمعناه ليكون ترجمة لكاتب جلبي ومؤلفاته فنسأل الله تعالى التوفيق وخير الختام.

هوامش

١) أنظر ترجمته في مقدمة كشف الظنون، نشر شرف الدين بالتقيا، ترجمة كاتب جلبي باللغة التركية ص ١٧ ــ ٢٤، نفس المرجع، ترجمة كاتب جلبي باللغة العربية ص ١٣ ــ ١٨، استانبول ١٩٤١م، محمد طاهر، عثمانلي مؤلفلري ٣:١٢٤ــ١٣١، استانبول ١٣٤٢ هـ؛ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، باللغة الألمانية، ٢:٥٦٣ (٤٢٨) والذيل ٢:٦٣٥ــ٦٣٧، ليدن ١٩٤٦، خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة الثالثة، ٨:١٣٨، طبع مصر، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ١٢:٢٦٢، دمشق ١٩٦٠م، اسماعيل البغدادي، هدية العارفين ٢:٤٤٠، استانبول ١٩٥٥م.

٢) يعرف بين العلماء الغربيين بشهرة حاجي قلفة، أنظر: محمد طاهر، عثمانلي مؤلفري ٣:١٢٨.

٣) يطلق على المدرسة العسكرية في عهد الدولة العثمانية.

٤) كاتب جلبي، ميزان الحق في اختيار الأحق، الطبعة الأولى، ص١٢٨، استانبول ١٢٨٠هـ.

٥) مكتوب في آخر مسودة كشف الظنون الذي لدينا أنه سماه أولا (كتاب اجمال الفصول والأبواب في ترتيب العلوم وأسماء الكتّاب).

٦) ميزان الحق، ص ١٣٥ ــ ١٣٦.

٧) قيل فيه في تاريخ نعيما (٢:٢٨٢ ــ ٢٨٣، استانبول ١١٤٧هـ): إن صاحب الفذلكة كاتب جلبي المعروف بحاجي مصطفى خليفة كان من عقلاء الكتّاب وعضو مجلس الشورى. ألف في هذا المجلس رسالة أسماها (دستور العمل لاصلاح الخلل) وأشار فيها إلى ادراك طريق هذا الأمر الهام ولم يهتم كاتب جلبي بهذه الرسالة لانه لم يلتفت إليها أحد في الديوان الملكي أو يميل إليها وإلى محتواها. أضاف نعيما أنه دققها بكمال الاهتمام وأدرج ما فيها من الفوائد في هذا الأمر كليا في ديباجة تاريخه.

عبد العزيز الرشيد وتاريخ الكويت

علي جواد الطاهر
أستاذ متقاعد - جامعة بغداد

عبد العزيز الرشيد ــ تاريخ الكويت. وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه: يعقوب عبد العزيز الرشيد. بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة د.ت ــ ٣٥٣ ص.

هذه هي الطبعة الثانية ولم ينص على ذلك الناشر ولكن «واضع الحواشي...» كشف عن الحال في «تصديره»، وهو ولد المؤلف، أعاد الطبع بعد أن نفذت الطبعة الأولى وألح عليه بعض المواطنين، ولعلمه «بالحاجة الدائمة لمعرفة التاريخ» ولا سيما «عندما يشعر الشعب بشيء من الوعي يدفعه إلى تنمية حضارته..» وقد وصف الولد كتاب الوالد بأنه حقق «الشمول والدقة والصراحة» وكانت الصراحة منهاج الوالد في كل ما يكتب. «على أن الكتاب لم يقف في فصوله عند حد الأحداث وتاريخ الحكام، وإنما تجاوزها إلى النهضتين العلمية والأدبية فسجل لرجالها ما بلغوه من فضل وما قاموا به من جهود في سبيل بلادهم».

وقال: «وأنا حين أقدم هذا الكتاب في طبعته الثانية (...) حرصت أشد الحرص على بقائه في صورته التي ألف عليها (...) وقنعت من تحسينه وتهذيبه بتبويبه وإخراج الجزئين في جزء واحد...».

ولكنه لم يخبرنا متى كانت الطبعة الأولى. كانت في جزئين، فمتى وقعت؟ ثم إن بكلام الولد في والده حاجة إلى من يزكيه لعامة القراء، وإلّا بقي ثناء أسرياً ومشاعر ابن إزاء أب. ومن هنا جاءت «المقدمة» التي كتبها الأستاذ عبد الرزاق البصير، وقد نعته بـ «مؤرخ الكويت الأول»، ولا شك في ذلك فهو أول من ألف تاريخاً للكويت، ويمكن أن يحمل النعت المدح زيادة على الدلالة الزمنية. وما بنا ــ أو به ــ من حاجة إلى هذا التحميل، وها هو ذا يقول بصريح العبارة: «... كان (...) صادق اللهجة صريحاً في آرائه التي يعتنقها، لا يستطيع أن يسكت على الذين يخالفونه في آرائه، وقد لقي بطبيعة الحال أنكار كثير من الناس وتعنتهم ضده وتشهيرهم عليه..» قال صاحب المقدمة هذا في صاحب الكتاب بعد أن قال: «كان متفوقاً من المتفوقين، يتحلى بصفات حميدة أهمها أنه ذو همة بعيدة، وطموح كبير..». والأمر منسجم في هذا القول مع ذاك، متكامل.

وتحدث عن حياة الرجل في حله وترحاله، بل في ترحاله أكثر من حله .. ولكنه لم يُقل متى كانت الطبعة الأولى. لقد قال: «... لقد ابتهج الأدباء لدى ظهور هذا الكتاب فكتبوا المقالات الطوال في مدحه والثناء عليه...» ولكنه لم يقل متى كانت الطبعة الأولى. وهنا «أتطوع» فأقول إنها كانت ببغداد سنة ١٣٤٤ هـ، الذي يقول ــ في الحقيقة ــ هو الزركلي في آخر «الأعلام»، ويبقى السؤال في المطبعة. ولم ينفعنا الاستاذ كوركيس عواد لأنه أقام به «معجمه على» «المؤلفين العراقيين»، ونفعنا الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن في «فهرست المطبوعات العراقية» وربما من حيث لا يقصد ــ فقال: «... المط العصرية ١٩٢٦» .

ونلجأ إلى المصادر هذه .. لأننا لم نعد نجد نسخته .. في يسر!

ثم كان المناسب أن يقتطف لنا المقدم أو المصدّر سطوراً

ذوات دلالة من مقالات الابتهاج إكمالاً للفائدة وتوضيحاً للقصد. ولا بأس، فسيطبع الكتاب — ولا شك — طبعة ثالثة (ورابعة...)، وسنطالب حينئذ بسطور أكثر وفقرات أوسع.

إن عبد العزيز الرشيد مؤرخ وله فضل ثابت في ذلك ما بقي كتابه، ولكنه كان للكويت أكثر من مؤرخ، ولو وصفته بالمصلح لما عدوت الحقيقة ولو اتخذته عاملاً في النهضة لما أخطأت، ولو رأيته داعية إلى النهضة العربية عموما وإلى الكويت خصوصا لما كانت رؤيتك رؤيا.

لقد كان الزركلي شديد الاقتصاد والاحتياط إذ قال :«فاضل، من الكتاب، له اشتغال بالتاريخ..» وما كنا لنسم الزركلي هذا الميسم لولا ما كثر في كتابه من ثناء على آخرين هم دون الرشيد.

ولدى الزركلي : أن «عبد العزيز بن أحمد الرُشيد البدّاح الكويتي» ولد سنة ١٣٠١ هـ/١٨٨٣م.

إن بنا شوقاً لمعرفة المزيد عن «الرُشيد» ، ويبدو أن «يعقوب» تحرج عن أن يحدثنا، أما الأستاذ عبد الرزاق البصير، فقد أوجز ولكنه قال: «لقد أفضت في ترجمة المؤلف إفاضة متعمدة» وأية إفاضة هذه التي لم تتعد ثلاث صفحات! أم هي قلة في المعلومات المتوفرة؟ ونمضي إلى باحث كويتي آخر يتجرد مخلصاً لدراسة «أدباء الكويت في قرنين» هو الأستاذ خالد سعود الزيد (١٩٦٧) — المطبعة العصرية في الكويت فلا يزيد على أربع الصفحات كثيراً (يتفق في الميلاد مع الزركلي) ولكنه كان أكثر دلالة على مكانة الرجل في النهضة وأكثر انطلاقاً في الثناء وإن اتفق في مجمل المعلومات مع البصير. بدأ كلامه هكذا «إن حياة هذا الرجل آفاق كثيرة، وجوانب متعددة من العظمة والخلود» وصعد وزاد «... إنه علم من أعلام النهضة العربية المعاصرة». وعاد يحدثنا عن حياته :« ولد (...) في الكويت (...) وتلقى علومه الابتدائية فيها ثم سافر إلى الأحساء ومنها إلى المدينة المنورة وتولى منصب الإفتاء فيها لمدة سنتين غير أن كثرة حاسديه فرضت عليه مغادرتها (...) فتوجه إلى الأحساء ثم ما لبث أن هجرها إلى الاستانة...» ولم يقل لنا الأستاذ الزيد سبب سفره إلى الاستانة، ولم يذكر البصير الأستانة ولكنه ذكر «العراق ومصر والحجاز والبحرين وجاوة .. وكان همه الوحيد اكتساب العلم والثقافة...»

يمكن أن نرى في الرجل — إذاً — طالب معرفة . ونترك الرأي من غير تعليل .

وفي حياة الرجل عبرة بالغة الأهمية. لقد كان متشدداً ، محافظاً، لا يختلف كثيراً عن مفهوم من يوصف بالرجعية في مجتمعه، وكل جديد حرام، وكل مجدد كافر، ومن الكفر الحرام الذي لا هوادة معه عنده الدعوة «إلى تعليم المرأة وتثقيفها ومنحها حقوقها فكيف إذا قامت تلك الدعوة إلى تحررها وسفورها، ومساواتها بالرجل». ولم يكن وحيداً في هذا، فالعالم العربي زاخر بأمثاله ، وإذا كانت الكويت قد شهدت ميلاد حياتها الأدبية «عام ١٨٤٣م، حيث هبط (...) الشاعر الأديب عبد الجليل الطباطبائي» البصري (ينظر الزيد ١/ ط ي)، فإن الحياة الأدبية تلك لم تكن تعني التحرر الفكري وإنما هي سماع الشعر ونظمه، وسماع النثر ومزاولته إن دعت الضرورة — كذلك. عمل الطباطبائي كان كبيراً في تاريخ الكويت وتأسيسياً، ولكنه لم يكن فكريا، ولا بد من انتظار «شخص» آخر .. لم يكن أحد يفكر فيه آنذاك اكتفاءً بالموجود في المحيط الضيق، وجهلا — أو تجاهلاً — للموجود في المحيط الواسع (البعيد عن الكويت) .. ولم يكن أحد يتصور الرجل الذي سيكون، إذا كان.

المهم .. كانت قراءة الجريدة حراماً، والدعوة إلى تعليم المرأة حراماً .. كذلك .. والشيخ عبد العزيز الرشيد على الطرف الآخر .. القصي عن الجريدة وتعليم المرأة..

كان العالم في أغلال السلطان عبد الحميد .. ولم يكن العرب كلهم خاضعين لأغلال السلطان أو أغلال المجتمع المتخلف وأغلال العقول الآسنة ... وهنا ... هنا أرسل الشاعر العراقي معروف الرصافي دعوته إلى تعليم المرأة .. مضمناً إياها قصيدة جعل عنوانها «التربية•والأمهات» وعرض الدعوة في حماسة وكأنه يكتب مقالة أو يحرر رسالة:—

هي الأخلاق تنبت كالنبات	إذا سُقيت بماءِ المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربي	على ساق الفضيلة مثمرات

ولم يفته الاحتياط الديني فيتوجه إلى «أم المؤمنين» بشكواه

وبما أضيف إلى الدين مما هو ليس منه فكذبوا على الاسلام:

نرى جهل الفتاة لها عفافاً كأن الجهل حِصنٌ للفتاة

. . . . . .

حجبناهن عن طلب المعالي فعشن بجهلهن مهتّكات

ولم يفته الاحتياط ثانية فيحتج بما للبدوية من حرية وإسفار عفة..

إن الرصافي في واد والرّشيد في واد .. لقد غاظه الرصافي وأزعجه وأثاره ووضعه وجها لوجه إزاء مسؤوليته الدينية وواجبه الذي يفرضه العلم على العلماء .. فأمسك بالقلم، ولا تعوزه الحجج ولا اللغة ولا الحدة .. فكان كتاب «تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين» الذي طبعه في بغداد ردّاً على قصيدة الرصافي (...) فجاء (...) نقضاً لـ ... القصيدة وتفضيلا للرجال على النساء ثم محاربة تعليم المرأة وخروجها إلى المدارس ينظر الزيد ١/ل، ٥٤ — ولم ينفعنا أحد هنا في تحديد تاريخ طبع الكتاب وفي اسم المطبعة ... بمن في ذلك عبد الجبار عبد الرحمن، زد على أن قصيدة الرصافي غير مؤرخه كل ما يعرفه العارفون أنها كانت في عهد الاستبداد الحميدي« ديوان الرصافي ، شرح وتعليقات مصطفى علي ٢/٣٥٠، بغداد، وزارة الإعلام ١٩٧٤ » .

هذا هو — إذاً — عبد العزيز الرشيد من شيوخ الاستبداد الحميدي .. عصبية وحمية وفهما للدين والإصلاح...

لقد كان في الطرف القصي من الإصلاح الذي نادى به السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ثم تلاميذه الآخرون وتلاميذ التلاميذ ومنهم محمد رشيد رضا.. وفي الطرف القصي من مفهوم النهضة العربية كما جرت في مصر والشام والعراق...

ومن يره أو يقرأ «تحذيره» .. ير المستحيل في تغيره وتطوره .. فلقد سد النوافذ كلها، وما من «شق» يتسلل منه الريح أو النسيم..

ولكن لا .. فكثيراً ما رأينا قوماً في طرف، لم يلبثوا أن تحولوا إلى طرف في حدود ما يملكون في نفوسهم من بذور الخير، وحب الصلاح... وريادة الحقيقة. إن تطرفهم الأول لم يأت عن تجارة أو تغاب أو تجاهل أو خدمة لسلطان وطمعا بجاه ... وإنما هو قناعة أملتها عليهم ظروفهم .. ومن كان كذلك كان غير التاجر الخبيث «الانتهازي»...

ومن هنا — فيما يبدو من سير الأحداث — كان إمكان التغير في تفكير الرشيد وعمله .. ولكن التغير يستلزم عوامل خاصة لم تكن الكويت أو الأحساء أو المدينة بكافلة لبعضها .. وإذا كانت كافلة لموقف فلـ «تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين»...

ويحدث أن يُزعج الرجل في المدينة ويحال دونه ودون تولي القضاء ... فيقرر الهجرة، ويهاجر إلى الآستانة. فلم الآستانة؟ الموضوع جدير بالتقصي فهل من مطمح ديني بعيد! أو سماع بالدعوات الإصلاحية ووصول رذاذ منها إلى المدينة المنورة؟ إن الرجل طموح دون شك ، تهمه الحقيقة كما يبدو.

ونعود نستمع إلى الأستاذ الزيد (١/ك — ل) : «لقد رحل الشيخ عبد العزيز الرشيد إلى الاستانة ثم إلى القاهرة، حيث درس في الأزهر، وهناك التقى بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الاسلام، أمثال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) والشيخ عبد العزيز الثعالبي فتفتحت عاطفته القومية وتبلورت مفاهيمه الدينية فتراجع عن كثير من آرائه المتزمتة التي سار عليها في مطلع شبابه، والتي نلمسها في كتابه (تحذير المسلمين...) لقد أقام في مصر بضع سنين فتعرف على أدبائها ومفكريها، ومن كان يفد إليها من أقطاب الفكر وزعماء الإصلاح والسياسة في ذلك الحين فتأثر بمناهج الإصلاح...»

«حتى إذا ما عاد إلى مسقط رأسه الكويت، نجده ماضياً في تعميق مفاهيمه الجديدة في نفوس الشباب (...) داعيا الناس إلى الاشتراك في المجلات الأدبية والجرائد التي كانت تصدر في البلاد العربية والتي كان رجال الدين يعتبرونها حتى ذلك الوقت بدعة أو من المحرمات، فانجذب إليه نفر من الشباب واعتنقوا دعوته، كخالد الفرج، وخالد العدساني، وحجي بن جاسم، وعبد اللطيف النصف، وأحمد البشر، ومال نحوه المتحررون فكراً والمثقفون من أنداده مثل صقر الشبيب .. فأسفر الصراع عن وجهه بين جيلين .. فكان .. اندحار القديم وقيمه البالية

تكون الكويت آمنة مطمئنة وما هو إلا أن تطأ قدمه أرضها حتى ينكر الابن على أبيه والأخ على أخيه وينشر من زيغه وضلاله ما يضج الدين منه. ومن أخذ ما كان يحدث به استسهال معتقديه إطلاق الكفر والإلحاد على المسلمين واستحلال الموحدين (...) حكم بعضهم من جراء تعاليمه بكفر الأستاذ الكبير السيد رشيد رضا واستحلال دمه حتى حاول أحدهم قتله في السنة التي زار الأستاذ فيها الكويت..»

ويستمر في خبر هذا الدجال، وما كان ليريد ذلك «ولكن ماذا أصنع والتاريخ يناشدني أن أقول الحق ولو على نفسي وأن أجاهر بما أعلم ولو كان مرّاً..»

أجل .. وكان يقابل دعوته والمتحررون من حوله سفهاء وأصحاب مصالح خاصة وذوو عقول عفنة .. وجرأة في الباطل.. فيصبر ويصابر، ويعمل ويثابر .. ألم يصدر مجلة في بلد يرى قراءة الصحف كفراً وإلحاداً وزندقة! وأشياء أخرى كثيرة .. ومع هذا فلا أريد أن أذهب بعيداً وأدخل في المغالاة ، لأن ذلك يقتضي تبحراً أكثر..

وهنا يرد الأمر الثاني .. أمر الا نغالي بالصراحة ، وبمعنى أدق الا نأمل تسجيل كل شيء حدث وكان يجب أن يسجل. لقد بذل الرجل أقصى الجهد في التاريخ، وأثبت ما لا يجرؤ غيره على إثباته معتمداً على الحقيقة مستنجداً بالصراحة ... وقد كان تأريخه عام ١٩٢٦ ولك أن تقدر ما مر عليه من زمن وأحداث، ولكن لم يجرؤ من يرى فيها مجانبة لصواب ومداهنة لضلال .. وليس ذلك بالقليل. أشهد أنه كثير .. ومع هذا أفضل الاقتصاد في الثناء، فالرجل ــ مع تحرره وتحريه وعلمه وتعلمه ــ محكوم بما هو أقوى منه، ويكفيه فخراً ــ هنا ــ أن يصارح قارئه بهذه الحقيقة المرة، على مرأى من السلطان والحاقد، ومسمع، وصارحه منذ البداية: «... الصراحة ... الحقائق ... الحق ... الحرية ...»

ثم لنقصد، كما ينصحنا **البصير**ــ في المؤاخذة، وننظره في مقاييس عصره، أو لنأخذ مقاييس عصره، فلقد أهتم الرجل فيما كان يراه مهماً وهو في الربع الأول من القرن العشرين .. فأين هو أمس منا اليوم.

ومع هذا الاقتصاد، لقائل أن يقول بل أين نحن اليوم منه أمس.

ولغة «تاريخ الكويت» تدل على حداثة لغة صاحبه، وهي لغة التاريخ الحديث فيما يجب أن تكون عليه من الدقة والوضوح والأناة مع السلامة والبعد عن التكلف. وكما تكون لغته بذلك رائدة في كتابة التاريخ، تكون رائدة في لغة النثر، فلقد أسلس القيادة للسانه يوم كان الآخرون ما زالوا يقيدون ألسنتهم بالسجع ويثقلون أقلامهم بالطباق والجناس ــ وليس هذا الذي ابتدره الرشيد ــ على الأقل ــ بالقليل ..

ومضى الرجل راشد في قوله وفعله .. ويكفي أنه أصدر مجلة «الكويت» بعد صدور تاريخه، وقد رأينا «مجده» فيها...

ولكن الذي حدث أنه لم يبق في بلده حتى نهاية مطافه ، فلقد هاجر إلى جاوة ، وبهجرته هذه حاجة إلى دراسة وبيان للأسباب ، فقد يقصر هدف محاربة « البهائية » هناك عن التعليل . .

وأقام في جاوة يقول ويفعل .. حتى وفاته عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) كما ذكر الزركلي وعام ١٣٥٧ كما ذكر الزيد!.

وبعد ...

فلئن كان طبع «تاريخ الكويت» نصراً، وإعادة طبعه نصراً ثانياً .. فإن مقالاته في مجلته جديرة بالجمع والاختيار والطبع في كتاب .. هي ومقالات أخرى له متناثرة «ضائعة» في «جرائد بغداد ومجلاتها، ومجلة الهلال، وجريدة الشورى المصرية»، وما يمكن أن يكون منها في جاوة بمجلة «الكويتي والعراقي».

وإن كتباً أخرى له جديرة بإعادة الطبع إن كانت مطبوعة، والطبع إن كانت مخطوطة.

أما ذكراه وقد مرت مئة سنة على ميلاده فجهد المقل .. وتذكير بقصور المقصرين.

المعاجم المتخصصة

أحمد زكي بدوي
أستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أهمية توحيد المصطلحات العلمية

من أوليات المسائل في أي علم من العلوم وضع مصطلحاته وضبط تعاريفه، وقد بالغ البعض في التعبير عن هذا المعنى بقوله «كل علم ما هو إلا لغة محكمة الصنع».

وللمصطلحات والتعريفات أهمية كبيرة في مختلف العلوم من حيث كون المبتغى منها بصفة أساسية هو التعبير «بكلمات» عن «أفكار» تمثل بذاتها «حقائق».

وتبتكر الدوائر العلمية في الغرب كل يوم ما يتراوح بين خمسين ومائة مصطلح جديد تدخل ساحة التداول العلمي، ولذلك أصبح من الأهمية بمكان متابعة هذا التقدم بايجاد مقابل في اللغة العربية لكل من هذه المصطلحات.

ولا شك في أن هذا الهدف يلقي على العلماء والفنيين اعباء مستمرة فهم مطالبون دائماً بأن ينتجوا وأن يعدلوا وينقحوا وأن يهذبوا وييسروا وأن يبتكروا ويجددوا.

وينقضي ذلك العمل بصفة مستمرة على حصر مصطلحات مختلف العلوم واختيار المقابل العربي الملائم لها واصدار المعاجم المتخصصة التي تضم هذه المصطلحات.

وتحاول المعاجم العامة تغطية أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة وهي تعطي غالبا المصطلحات المختلفة معاني عامة قد تكون بعيدة عن المقصود من المصطلح في مدلوله العلمي، إذ أن لكل مصطلح مدلولاً معيناً لا يجوز أن ينسحب على معاني غيره من المصطلحات.

هذا فضلا عن أن تباين المؤثرات الثقافية لدى العديد من الباحثين أدى إلى بلبلة في كثير من المصطلحات واضطراب في استعمالها واستخدامها في غير مواقعها السليمة ، وإلى خلط كثير، حيث لا تحمل الكلمة الواحدة في كثير من الأحوال نفس المعنى.

ولذلك تزداد الحاجة إلى المعاجم المتخصصة التي تعالج قسما واحدا من المفردات يختص بأحد فروع المعرفة، مما يساعد على فهم معاني المصطلحات وتحديد مدلول كل مصطلح ليعبر بدقة عن المعنى المطلوب وقطع الطريق أمام التضارب في التعبير الصحيح.

والهدف من المعجم المتخصص هو مساعدة القارىء على معرفة معاني لغة حقل معين من حقول المعرفة ومصطلحاته.

وللمعجمات المتخصصة ثنائية اللغة أهمية خاصة في البلدان النامية حيث تترجم كثير من المصطلحات العلمية والتقنية من اللغات الأخرى، فهذه المعاجم ضرورية للمترجمين المحترفين والقراء غير المتخصصين على السواء.

ثانياً — تطور الجهود المتعلقة باصدار معاجم متخصصة

قام بعض الباحثين منذ أوائل الستينات باصدار عدد من المعاجم المتخصصة ثنائية اللغة وأغلبها إنجليزية عربية، تناولت بنوع خاص مجال العلوم الاجتماعية والاقتصادية إلا أن معظم هذه

المعاجم اقتصرت على ادراج المصطلح الانجليزي أو الفرنسي ومقابله العربي ولم تتناول تعريف المصطلح أو تحديد مفهومه.

وقد بذل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جهودا طيبة في سبيل توحيد كثير من المصطلحات نشرت في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع سنويا، وقد تضمنت العديد من المصطلحات الاقتصادية والقانونية والاجتماعية والسيكولوجية والتربوية الخ.

كما قامت الادارة القانونية بالأمانة العامة بجامعة الدول العربية اعتبارا من مايو سنة ١٩٦٦ بتكوين لجنة لتوحيد وتعريف مصطلحات القانون الاداري بالتعاون مع الشعبة المصرية للمعهد الدولي للعلوم الادارية والجهاز المركزي للتنظيم والادارة، وقد اهتمت هذه اللجنة بتحديد المسميات العربية الصحيحة للمصطلحات الفرنسية في مجالات الادارة العامة والقضاء الاداري والمالية العامة، ولكنها بكل أسف اكتفت بطباعتها بالجستتنر، ولم تنشر على نطاق واسع.

وفي المؤتمر الثاني لوزراء العمل المنعقد في نوفمبر سنة ١٩٦٦ بحث اقتراحا بشأن توحيد **مصطلحات العمل** في الدول العربية، ووافق المؤتمر على تشكيل لجنة من الخبراء العرب لتجميع المصطلحات الخاصة بمسائل العمل والاهتمام بتوحيدها، ومن ثم تم تشكيل هذه اللجنة وقامت بحصر مصطلحات العمل الانجليزية ووضعت مقابلها الفرنسي والعربي مع تعريف كل مصطلح، واصدرت مشروعا مبدئيا سنة ١٩٧١ أرسل للدول العربية لابداء ملاحظاتها، وبعد ورود ملاحظات الدول صدر معجم مصطلحات العمل في شكله النهائي سنة ١٩٧٧.

كذلك قامت المنظمة العربية للعلوم الادارية بجهد طيب لتوحيد مصطلحات العلوم الادارية بفروعها المختلفة، وتحقيقا لهذه الغاية قام خبراء المنظمة باعداد **دليل للمصطلحات العربية الموحدة في العلوم الادارية** (انجليزي ــ عربي) وعقدت لجنة من بعض الخبراء في ابريل/ مايوسنة ١٩٧٢ قامت بدراسة المشروع واقراره ثم صدر دليل المصطلحات في ديسمبر ١٩٧٤.

ثم رأت المنظمة بعد ذلك ضرورة وضع **معجم عربي كامل** **يتصف بالشمول** وأن يتضمن مصطلحات الادارة بفروعها المختلفة ومقابلها الفرنسي والعربي وتعريفها، وعقدت عدة اجتماعات لهذا الغرض، إلا أن هذا المشروع لم يتم.

وفيما يتعلق **بمصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية** قامت ادارة التنمية الاجتماعية بالأمانة العامة بجامعة الدول العربية بتكوين لجنة من الخبراء في نوفمبر سنة ١٩٧٦ قامت بحصر المصطلحات العربية في هذا المجال ووضع مقابلها الفرنسي والعربي وتعريفها، وأعدت معجما أرسل للدول العربية لموافاة الأمانة العامة بأية آراء أو ملاحظات حول هذه المصطلحات، فتلقت بعض الملاحظات وضع على أساسها المعجم في صورته النهائية وأعد للنشر.

وفيما يتعلق **بمصطلحات التربية والتعليم** قرر مؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في اغسطس سنة ١٩٧٨ تشكيل لجنة تحضيرية تقوم بتصميم اطار العمل لوضع معجم لمصطلحات التربية والتعليم إلا أن هذا المشروع لم يتم.

وأخيرا وليس آخرا قام المركز العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية بتكوين لجنة من الخبراء في اوائل سنة ١٩٧٩ لاعداد **معجم لمصطلحات الاعلام** (انجليزي ــ فرنسي ــ عربي) مع تعريف كل مصطلح وقد تم اعداد هذا المعجم وأعد للنشر.

ونظرا لاهتمامي بالأعمال المعجمية منذ عهد بعيد فقد كنت مقررا للجان توحيد المصطلحات المشار إليها، وقد دفعني ذلك إلى إصدار عدة معاجم متخصصة في العلوم الاجتماعية والقانون والتربية والتعليم والقوى العاملة والعلوم الادارية.

وبجانب هذه الجهود التي بذلت في سبيل توحيد المصطلحات وتوحيد مفاهيمها، قام المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الملحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجهود طيبة في دراسة العديد من المصطلحات، ونشرت هذه الدراسات في مجلة **«اللسان العربي»** كما اصدر المكتب **سلسلة من المعاجم المتخصصة**، ويقوم بصفة دورية بتنظيم مؤتمر التعريب لتوحيد المصطلح العلمي العربي، وقد عقد المؤتمر الأول بالرباط في أبريل

١٩٦١ وعقد المؤتمر الثاني بالجزائر في ديسمبر ١٩٧٢ وعقد المؤتمر الثالث في طرابس في فبراير ١٩٧٧ وعقد المؤتمر الرابع سنة سنة ١٩٨٠ يتضح من هذا العرض السريع أن هناك جهودا بذلت لتوحيد المصطلحات واصدار بعض المعاجم المتخصصة، وأن العمل الذي تم انجازه لن يكون خاتمة المطاف، فالمعاجم خزائن اللغة، وهذه كميراث اجتماعي دائمة التطور والتغير حتى تساير الزمن.

ثالثا — المنهج السليم لاعداد المعاجم المتخصصة

ظهر في الوطن العربي كما ذكرنا من قبل العديد من المعاجم المتخصصة الثنائية اللغة، إلا أنه لم يراع في البعض منها الأسلوب الصحيح لاعدادها، ولذلك يهمنا أن نوضح فيما بعد المنهج السليم في هذا المجال حتى يأخذه في الاعتبار من يتصدى لاعداد مثل هذه المعاجم، وأن يكون مرشداً للقارىء في اختياره للمعاجم المتخصصة.

يقوم هذا المنهج طبقا لفن اعداد المعاجم Lexiography والذي يحدد لاعداد المعجم المتخصص ثنائي اللغة المراحل الآتية حتى يقوم على أسس علمية سليمة.

١ — حصر المصطلحات

من المسائل الهامة في اعداد المعاجم المتخصصة مسألة اختيار المصطلحات التي يجب ادخالها في المعجم.

ومن المعايير الرئيسية التي يجب الأخذ بها استخراج المصطلحات الأجنبية من المعاجم المختلفة أو الكشافات الأبجدية التي تدرج في نهاية كتب المراجع أو غيرها، وتدوّن المصطلحات في بطاقات ثم ترتب حسب الألفباء الأجنبية وتحذف المصطلحات المكررة.

ويتم اختيار المصطلح أو رفضه طبقا لمدى تكرار استعماله، ومدى انتشاره كمصطلح من المصطلحات التي يجب أن يتضمنها المعجم المتخصص، ولذلك تستبعد الكلمات ذات الدلالة العامة التي لا شأن لها بموضوع المعجم وكذلك استبعاد الكلمات ذات النطاق المحدود التي يكون قد ابتكرها أحد الباحثين ولم تصادف انتشارا.

ويجب أن تقتصر المصطلحات على الأسماء دون الأفعال أو النعوت فهذه موضعها المعاجم اللغوية.

كذلك يجب أن لا يتعرض المعجم لأسماء أفراد أو هيئات أو منظمات فهذه موضعها معاجم التراجم أو دلائل المنظمات المختلفة التي تصدر خصيصا لهذا الغرض.

ويجب أن تستعمل صيغة المفرد وصيغة النكرة إلا في بعض الحالات التي تتطلب استعمال صيغة الجمع أو التعريف.

٢ — وضع المقابل العربي الملائم

للمصطلح العلمي الأجنبي دلالة واحدة، ولذلك فان اختلاف المقابل العربي له يحول دون تبادل المعلومات والخبرات وتوثيق الصلات العملية والعلمية على نحو مثمر.

لذلك من الأهمية بمكان مراجعة المقابل العربي للمصطلح على الأسانيد العلمية المختلفة قبل الأخذ به.

وقد وضعت المؤتمرات المتعلقة بحصر وتوحيد المصطلحات العلمية بعض المعايير في هذا الشأن وهي :

١ — اختيار المصطلح الأدق في الدلالة لغة وتفضيله على المعرب بقدر الامكان .

٢ — صلاحية المصطلح من الناحية الوظيفية وتحديده للمعنى تحديدا تاما.

٣ — اختيار أكثر المصطلحات شيوعا وتداولا.

٤ — اختيار أقرب تعريب أو ترجمة أو اشتقاق أو نعت يتمشى مع مدلول المصطلح.

٥ — تجنب الكلمات العربية الثقيلة التي يصعب النطق بها أو تداولها بين الأفراد.

٦ — اختيار الكلمات الدقيقة وتجنب تلك التي تؤدي إلى

الغموض واللبس.

٧ ــ اختيار المصطلحات الأكثر إيجازا والكلمة الفريدة أفضل من الكلمة المركبة.

٨ ــ اختيار المصطلح الذي يسمح بالاشتقاق بدلا من المصطلح الذي لا يسمح به.

هذا وقد يصعب في بعض الحالات الاقتصار على وضع مقابل عربي واحد للمصطلح لوجود مقابل آخر له منتشر الاستعمال ، ولذلك تدرج المسميات الأخرى لنفس المصطلح في أضيق الحدود، على أن تختفي هذه التسميات تدريجيا بعد انتشار المسميات ذات الأولوية.

٣ ــ تحديد المفاهيم

يجب أن يكون لكل مصطلح مفهوم واضح المعنى لدى جميع من يستخدمونه ولذلك فان وضع تعريفات للمصطلحات على جانب عظيم من الأهمية والصعوبة، **إذ أن تعريف المصطلح هو الذي يحدد دلالة اللفظ على المعنى المقصود به فيرتفع بذلك الغموض والابهام** وخاصة في المصطلحات المشتركة في اللفظ المختلفة في المعنى.

كما أن من شأن وضع التعريفات ايجاد معايير دقيقة للمصطلحات، **ويحقق التعريف الدقيق هدفين، فهو يعطي الشخص فكرة واضحة ودقيقة عن حقيقة الموضوع هذا إذا لم تكن له به خبرة من قبل، كما تمكنه من أن يميزه تمييزا صحيحا عندما تكون له خبرة به.**

ومن شروط التعريف :ــ

١ ــ أن يكون جامعا مانعا بقدر الامكان، ويكون جامعا أي يجمع كل أفراد الشيء المراد تعريفه، ويكون مانعا أي يمنع دخول أي نوع آخر في دائرته.

ب ــ يجب أن يكون التعريف أكثر وضوحا مما يراد تعريفه، لأن الهدف من التعريف هو التوضيح والتحديد.

جـ ــ يجب أن يراعى في تعريف المصطلحات العلمية معنى المصطلح الفني لا اللغوي.

٤ ــ ترتيب المعجم

يجب أن يراعى **دقة الترتيب ووضوح التبويب** في المعاجم المتخصصة ثنائية اللغة أي المعاجم الانجليزية ــ العربية أو الفرنسية ــ العربية وأن يتبع أسلوب الترتيب الأبجدي ، وفيه ترتب المصطلحات وفقا لحروفها الأولى فاذا شاء الدارس البحث في المعجم فانه يجدها على حالها، وما عليه إلا أن يطلبها في أول حرف فالثاني فالثالث من حروفها كما هي.

كذلك يجب أن **تقتصر مداخل المعجم على كلمات مفردة أو مركبة من كلمتين على الأكثر** بحيث تدل على معنى واحد وتجنب ادراج كلمات وجمل تتضمن عدة معان.

ويجب **أن يوضع للمعجم المتخصص كشاف عربي** ترتب فيه الكلمات أيضا على أساس الترتيب الالفبائي دون مراعاة لمصادرها أو أصولها المجردة.

ومن الضروري **وضع أرقام مسلسلة للمصطلحات** على أن تدرج هذه الأرقام أمام كل مصطلح وارد في المعجم أو في الكشاف العربي.

وإذا كان المعجم ثلاثي اللغة (انجليزي، فرنسي، عربي) يجب وضع كشاف فرنسي للمعجم تدرج به أيضا أرقام المصطلحات الواردة به.

وختاما فاننا نرجو أن تبذل الهيئات العلمية المختلفة المزيد من الجهد في اصدار المعاجم المتخصصة حتى تعبر عن العلم والحضارة المعاصرة في دقة ووضوح، وبحيث تكون اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

العرض و التحليل

أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة للمغربي

يحيى محمود ساعاتي

المغربي ، محمد علي / أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة . - جده : تهامة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ٣٤٨ ص (الكتاب العربي السعودي - ٣٠) ج ٢ . - جده : المؤلف ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٤٣١ ص .

يعتبر محمد علي مغربي من جيل الرواد الذين أسهموا بعطاء فكري جيد على مستوى المملكة العربية السعودية وهو يمتاز بثقافة واسعة جمع فيها بين معارف متنوعة إنعكست على نتاجه الذي تنوع بين عمل إبداعي مثل الشعر والقصة ومؤلفات تاريخية واجتماعية .

ورغم الاسهام الثر والمشاركة الفعالة لهذا الكاتب إلا أن نصيبه من الاشادة والتنويه كان أقل من غيره ولعل السبب في ذلك يكمن في بعده عن الأضواء وعدم خوضه في كتابة تقوم على الاثارة وجلب الانتباه .

وسنحاول في هذه الدراسة التعريف بالمغربي وأعماله مع تقديم عرض مفصل لكتابه أعلام الحجاز .

● حياته :

ولد محمد علي مغربي في مدينة جده عام ١٣٣٣ هجرية كما يذكر الساسي[1] ، أو في عام ١٣٣٢ هجرية كما هو مذكور على الغلاف الخارجي من الجزء الأول من كتاب أعلام الحجاز وقد درس في مدارس الفلاح بجده ، وتقلب في وظائف عديدة حيث عمل في بريد جده وشركة القناعة للسيارات ، ومديراً لمكتب المرحوم محمد سرور الصبان كما تولى رئاسة تحرير جريدة صوت الحجاز فترة من الزمن ثم انقطع إلى العمل التجاري وتفرغ للكتابة والتأليف .

وإذا كنا نعرف المغربي كاتبا صحفيا وباحثا ومؤرخا إلا أنه إضافة إلى كل ذلك قصاصا وشاعرا له قصائد نشر بعضها عبد السلام الساسي في شعراء الحجاز منها قصيدته قصة حب التي يقول فيها :

سألتها قبلة في الخد طاهرة
كبسمة الفجر أو تسبيحة الوتر
قالت أخاف وأغضت وهي عالمة
بما أقاسيه من ويل ومن سعر
لا تخشي شراً فإني إن ملئت هوى
فقد ملئت ضميرا دائم الذكر
قالت أخاف عليك اليوم من خطر
وافر حتى بالهوى المحفوف بالخطر
لم تعط إلا يدا أمطرتها قبلا
وقد حظيت بأنسام من الشعر
قالت كفى . قلت كفي عن معارضتي
فأعرضت فخشيت الهجر من هجرى
هاجرتها عامدا كيما تلين فلم . .
كأنما قلبها قد قد من حجر
صالحتها فكأن الروض طالعني
بما تجمع من ورد ومن زهر
ليلاى قولي أ أنت اليوم غاضبة ؟
قالت وهل غضب الأملاك من بشر
أغاضب أنت ؟ وأفترت لواحظها
فقلت هل غضب الساري من القمر

ليلاي إني وحبك قد أقصرت عن طمع
فزوديني فإني أيا ليلى على سفر(٢)

وهي قصيدة رقيقة تدل على نفس شفافة مرهفة ذات أصالة فنية عميقة ، والمغربي فيما يبدو مقل في الشعر إذ لا نعرف له غير ما أختاره الساسي أو ما ينشره بين فنية وأخرى من مقطوعات في جريدة المدينة .

كما يعتبر من أوائل الذين كتبوا الرواية في المملكة العربية السعودية إذ نشر عام ١٣٦٧ هجرية رواية « البعث » وقد أعادت تهامة نشرها في عام ١٤٠٣ هـ ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي مع أربع قصص قصيرة هي الكنز والرجل النكد الطبع ، وبقرة الشريف عون ومقامة العروسين ، وقد كان من الأجدر الابقاء على نص البعث في عمل مفرد كما نشر في المرة الأولى نظراً لريادته التاريخية في مجال الرواية المحلية . .

وتوضح القائمة التالية أعمال المغربي التي نشرت حتى الآن ، وهي :

- **أبو بكر الصديق خليفة رسول الله** . - جدة : المؤلف (دار العلم للطباعة) ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، ٢٨٤ ص (أعلام الصحابة - ١) (دراسة) .
- **الإسلام في شعر شوقي** . - جدة : المؤلف ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ٩٥ ص (دراسة) .
- **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ١٣٠١ - ١٤٠٠هـ / ١٨٨٣ - ١٩٨٠م** . - جدة : تهامة ، ١٤٠١ - ١٩٨١م ، ٣٤٨ ص (الكتاب العربي السعودي - ٣٠) .
- **أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة ١٣٠١ - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٨٣ - ١٩٨٠م** . - جدة : المؤلف (دار العلم للطباعة ١٤٠٤هـ ، الجزء الثاني ٣٥٠ ص (تراجم) .
- **البعث** . - القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٤٨م ، ١٤٢ ص (رواية) .
- **البعث** : مجموعة قصصية . - ط ٢ . - جدة : تهامة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ١٢٩ ص (الكتاب العربي السعودي - ٨١) (قصص) .
- **حبات من عنقود** . - جدة : مؤسسة قنديل التجارية ، ١٩٦٨م ، ١٦٩ ص (مقالات) .
- **عمر بن الخطاب أمير المؤمنين** - جدّة : المؤلف (دار العلم للطباعة) ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ٤٣١ ص (أعلام الصحابة - ٢) .
- **لعنة هذا الزمن** . - جدة : مؤسسة قنديل التجارية ، ١٩٦٨م ١٩٦ص (مقالات) .
- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** . - جدة : تهامة ، ١٤٠١ - ١٩٨١م ، ٢٥٧ ص (دراسة) .

وتبين القائمة أن المغربي قد نشط للتأليف والنشر منذ عام ١٤٠١ هـ ولعل أبرز أعماله المنشورة منذ تلك الفترة كتابه أعلام الحجاز الذي صدر في جزأين وكتاب ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز وكلاهما يعتبر من الأعمال المرجعية التي تهم الدارسين والباحثين في الحياة الفكرية والاجتماعية في جزء من أجزاء المملكة العربية السعودية وقد ضمنهما المؤلف معلومات اعتمد فيها على الصلة المباشرة والرؤية الفعلية ونظراً لأهمية كتابه أعلام الحجاز فسنتناوله بعرض مفصل .

● كتابه أعلام الحجاز :

يعتبر هذا الكتاب مصدر معلومات هام عن الحياة الاجتماعية والفكرية في الحجاز وقد ترجم في الجزأين اللذين صدرا حتى الآن لأربعين علما منهم الأديب والشاعر والصحفي والتربوي والتاجر ويشير في مقدمة الجزء الأول إلى منهجه فيقول :

« وبعد فهذه تراجم لبعض أعلام الرجال الذين عاصرتهم وقد انتقلوا جميعاً إلى جوار ربهم وهم جميعاً ممن ولدوا وتوفوا خلال القرن الرابع عشر الهجري الذي نقترب من نهايته وأغلب هؤلاء الرجال ممن اتصلب أسبابهم باسبابي فعرفتهم عن قرب وخبرت من أمورهم ما قد يخفى على كثير من شباب الأمة ورجالها خاصة وأن الكثير ممن عاصرهم وعرفهم أما أن يكون قد لحق بهم أو أنه مثلي في الطريق إليهم - ورأيت أن من الخير التعريف بهم والتذكير بما كانوا عليه من كريم الصفات وما قاموا به من عمل نافع ، على اختلاف وجوه هذه الأعمال . . . ولست أزعم أن هؤلاء الرجال قد سلموا من الشوائب ، أو تبرأوا من النقص . . . كما أن من الواجب أن أوضح أن كلما كتبته عن هؤلاء هو

تسجيل لذكرياتي عنهم وعن أعمالهم ، فهذه التراجم أدخل في باب الذكريات منها في باب التراجم . . . »[٣] .

ويعمد المؤلف في بداية حديثه عن كل علم من الذين ترجم لهم إلى تقديم صورته المادية مشيراً إلى صفته الجسدية وملامح وجهه وطريقته في ارتداء الزى ثم يسترسل بعد ذلك في حديثه عن حياة الشخص ومواقفه ويستطرد أحيانا إلى أمورٍ أخرى تتعلق به وبصلاته بالآخرين من أبناء عصره . وقد يتضح المنهج من خلال رؤوس الموضوعات التي نجدها في تراجمه لبعضهم .

فعند حديثه عن أحمد قنديل يقدم لنا وصفا لملامحه ثم يعرج على تاريخ ميلاده والأعمال التي زاولها بعد ذلك نجد الكاتب يتطرق إلى موضوعات متنوعة مثل علاقة قنديل بحمزة شحاته وبواكير شعر القنديل يعود مرة أخرى إلى الحديث عن حياة. قنديل الصحفية ثم يتناول شعره الضاحك أو العامي ويستطرد ليتحدث عن مشاركة حمزة شحاته في مثل هذا الشعر ويعود إلى القنديل ثانية ليتناول شعره العامي وبيئته ونشأته الشعبية ومشاركته بالشعر ليلقي في احتفالات العرس ونقده للحياة اليومية من خلال الشعر كما يقدم لنا رأيه في شعر قنديل الفصيح ويتحدث عن مكة في شعره وعن ديوانيه الشعريين اللذين أصدرهما عن جدة وعن شعره الملحمي ومشاركاته في الاذاعة والتليفزيون .

وهذا الاستطراد في التراجم يعد سمة عامة للكتاب يستخلص الانسان منها معلومات في غاية الأهمية عن شخص المترجم له وعلاقاته بالآخرين وعن المجتمع والحياة العامة .

ويسهب المغربي أحيانا في حديثه عن بعض الشخصيات لدرجة يمكن معها فصل الترجمة في كتيب مستقل يحتوي معلومات قيمة وجديدة متضمنة لآراء المغربي في شخصية المترجم له وأدبه فعلى سبيل المثال جاءت ترجمة العواد في الصفحات من ١٤٩ إلى ١٩٤ وحديثه عن حسين عبد الله باسلامة استغرق الصفحات من ١٩ إلى ١٢٦ .

والكتاب إلى جانب أنه يقدم صورة حية عن حياة المترجم لهم ، يتضمن قضايا أدبية عاصرها الكاتب وشهدها من أمثلتها : المعركة الشعرية بين حمزة شحاته ومحمد حسن عواد في النصف الثاني من الخمسينيات والتي يصفها المغربي قائلا :

« دارت رحى هذه المعركة على صفحات جريدة صوت الحجاز قصائد شعرية تبادلها الطرفان بعد أن رمز كل منها لنفسه باسم مستعار أخذ حمزة لنفسه اسم الليل رمزا واتخذ العواد لنفسه اسم الساحر العظيم رمزا وبدأت المعركة بقصائد رمزية ينتصر فيها كل منهما لنفسه تحت ستار الحرب بين عناصر الطبيعة وما إليها وقد تحولت المعركة بعد ذلك إلى هجاء مقذع تناول الأعراض ولم يكن ينشر بصحيفة صوت الحجاز وإنما كان يكتب باليد ويوزع على أحياء مكة ونواديها وشاع أمر هذا الهجاء وذاع حتى بلغ إلى سمع المعنين في الحكومة فخاف الشاعران وطوى كل منهما هذه الصفحة السوداء بعد أن أنزلق معهما في هذا الطريق الأستاذان أحمد قنديل ومحمود عارف وكانت القصائد التي نظمها حمزة في هذه المعركة ونشرها مفقودة بينما أن العواد أثبت قصائده في ديوانه الشعري لعلها تحت عنوان (يد الفن تحطم الأصنام) وهى تمثل جزء هاما من شعر العواد ويسرني أن أذكر هنا أني وجدت القصائد التي نظمها حمزة ضمن المجموعة التي احتفظ بها صديقنا وصديقه الشيخ محمد نور جمجوم وإنه ليسرني هنا أن أثبت بعض مقاطعها ، وحينما يتم نشر ديوان حمزه شحاته وتنشر فيه هذه القصائد سيتمكن الدارسون لشعر الشاعرين من الحكم في هذه المعركة الشعرية التاريخية إذا صح هذا التعبير »[٤]

ويعمد المغربي أحيانا إلى تضمين كتابه معلومات لا تتعلق بالمترجم له ولكنها ذات صلة بموضوع طرقه فعند حديثه عن باسلامه يعرض لكتاب تاريخ عمارة المسجد الحرام الذي يتوقف الحديث فيه حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري وهنا يكمل المغربي الحديث عن العمارة في العهد السعودي ويستقى معلوماته من دراسة نشرتها وزارة المالية وأعدها اتحاد المهندسين والاستشاريين الذين أشرفوا على عمارة المسجد الحرام عشر سنوات منذ عام ١٣٨٥ هـ إلى نهاية العمارة السعودية في عام ١٣٩٦ هـ . وجاءت إضافة المغربي في الصفحات من ٤٣ حتى ٥٢ .

وللكتاب أهمية تاريخية إذ نجد فيه معلومات لا وجود لها في كتب تاريخية عن أمور سياسية فمثلا عند حديثه عن محمد صالح أبو زنادة يورد رواية عن وفادته إلى الملك عبد العزيز وسفره إلى مكة لمقابلته موفدا من قبل أهل جده بعد أن قرر الشريف تسليمها ويستنتج المغربي عن هذه الوفادة أن أهل الحل والعقد بجدة رأوا . « أن يبعثوا واحدا منهم للسلطان عبد العزيز لينقل إليهم آرائهم بعد أن تم تسليم المدينة دون اشراكهم خاصة وأن الأتفاق تم بواسطة القنصل الأنجليزي وهو أجنبي عن الجانبين »[٥] .

ويتضمن الكتاب معلومات مثيلة تتفرق في ثناياه . ورغبة في التعريف بمحتويات هذا الكتاب خاصة للذين لم يقفوا عليه . نورد فيما يلي أسماء الذين ترجم لهم المؤلف في الكتاب بجزأيه مع الإشارة إلى الجزء والصفحات وقد رتبت القائمة هجائياً :

أحمد الزاهراء	ج ١ ص ص ١١- ١٧
أحمد عبد الله القاري	ج ٢ ص ص ٦- ١٦
أحمد قنديل	ج ١ ص ص ١٨- ٣٥
حسين عبد الله باسلامة	ج ٢ ص ص ١٨-١٢٦
حمزة شحاته	ج ٢ ص ص ١٢٨-١٦٧
زينل علي رضا	ج ١ ص ص ٣٦- ٤٠
سليمان أمان قابل	ج ١ ص ص ٥٤- ٦٠
صالح بكري شطا	ج ١ ص ص ٦٢- ٧٤
ضياء الدين رجب	ج ١ ص ص ٤٢- ٥٢
عباس يوسف قطان	ج ١ ص ص ٧٦- ٨٧
عبد الله باشا باناجه	ج ٢ ص ص ٢٤٢-٢٥٥
عبد الله السليمان الحمدان	ج ١ ص ص ١١٠-١٢٤
عبد الله عريف	ج ١ ص ص ١٣٠-١٣٧
عبد الله علي رضا	ج ١ ص ص ١٣٨-١٤٦
عبد الله محمد باحمدين	ج ١ ص ص ٨٨- ٩٨
عبد الله محمد الصغير	ج ١ ص ص ١٢٧-١٢٩
عبد الرؤوف جمجموم	ج ١ ص ص ١٠١-١٠٩
عبد الرؤوف الصبان	ج ١ ص ص ٣٢٢-٣٣١
عبد السلام الساسي	ج ٢ ص ص ١٦٨-١٨٥
عبد القدوس الأنصاري	ج ٢ ص ص ١٨٦-١٤٠
عبيد عبد الله مدني	ج ٢ ص ص ٢٥٦-٢٧٣
علوي عباس المالكي	ج ٢ ص ص ٢٧٤-٢٨٤
محمد جميل حسن	ج ١ ص ص ٣٣٣-٣٣٩
محمد جعفر لبني	ج ١ ص ص ١٩٠-١٩٤
محمد حسن عواد	ج ١ ص ص ١٤٨-١٨٨
محمد حسين نصيف	ج ١ ص ص ٢٠٨-٢١٥
محمد خالد خاشقجي	ج ١ ص ص ١٩٦-٢٠٦
محمد رحمة الله العثماني	ج ٢ ص ص ٢٨٦-٣١٣
محمد سرور صبان	ج ١ ص ص ٢٢٢-٢٣٤
محمد صالح أبو زنادة	ج ١ ص ص ٢٣٦-٢٤٨
محمد صالح جمجموم	ج ١ ص ص ٢٥٠-٢٥٦
محمد صالح نصيف	ج ١ ص ص ٢٥٨-٢٦٨
محمد طاهر الدباغ	ج ١ ص ص ٢٧٠-٢٧٦
محمد طاهر الكردي	ج ٢ ص ص٣١٤-٣٣٨
محمد الطويل	ج ١ ص ص ٣١٤-٣٢٠
محمد عبد الصمد فدا	ج ١ ص ص ٢٩٤-٣٠٤
محمد علي زينل رضا	ج ١ ص ص ٢٧٨-٢٩٢
محمد علي ملطاني	ج ١ ص ص ٣٤١-٣٤٨
محمد ماجد الكردي	ج ١ ص ص ٣٠٦-٣١٣
محمود حسين نصيف	ج ١ ص ص ٢١٦-٢٢١

● خاتمـــــه :

وبعد فإن الكتاب يعد مصدراً أساسياً من مصادر المعلومات عن الحياة الإجتماعية والفكرية في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية وقد بذل فيه الكاتب جهداً كبيراً وقدم فيه صورة لشخصيات كان لها دورها الرائد في مسيرة المنطقة فكريا وإجتماعيا ولعل من المناسب أن يعيد المؤلف النظر في كتابه على أن تتولى نشره جهة واحدة إذ أن نشره بالطريقة الحالية الأول عن تهامة والثاني عن المؤلف ذاته يشكل صعوبة لمن يرغب في الحصول عليه فإذا كان الأول متوفراً عبر مكتبات تهامة فإن الثاني لم يحظ بالانتشار الذي حظى به الأول ، كما نتمنى أن يعيد المؤلف النظر في تنظيم الكتاب عندما يفكر في نشره مرة أخرى فيرتب التراجم ترتيباً هجائياً دقيقاً وينظم قائمة مراجعة بطريقة منطقية وهى أمور تضفي على الكتاب رغم شكلية هذه الملاحظات منهجية وعلمية هى في طبع المغربي نفسه ولعله يستدرك تراجم لشخصيات جديدة بأن يكتب عنها مثل عمر عبد الجبار وآخرين ممن يجدهم المؤلف جديرين بالدخول في كتابه القيم هذا .

الهوامش

١ - شعراء الحجاز في العصر الحديث - القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ، ١٩٥١ ، ص ١٦٣ .

٢ - السابق ، ص ٢٦٤ .

٣ - أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة - جدة : تهامة ، ١٤٠١ - ١٩٨١م ص ص ٧ - ٨

٤ - أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة - جدة : المؤلف ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م ، ج ٢ ص ١٦٠ .

٥ - أعلام الحجاز - جدة : تهامة ، ص ٢٤٧ ــ

تاريخ التراث العربي لسزكين

سيد رضوان علي
أستاذ التاريخ الاسلامي - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

سزكين، فؤاد/ تاريخ التراث العربي: مجموعة المخطوطات العربية في مكتبات العالم.ـ ترجمة محمود فهمي حجازي. الرياض: ادارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢ ــ ١٩٨٢م، ٢٨١ ص.

صدر هذا الكتاب من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حديثا، (١٤٠٢/١٩٨٢) ومؤلفه العلامة فؤاد سزكين غني عن التعريف، ومترجمه الدكتور محمود فهمي حجازي عرفه قراء العربية منذ أكثر من سبع سنوات حينما ظهر الجزءان الأولان من المجلد الأول للكتاب بترجمته في القاهرة في عام ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨م.

وقد أحسنت إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام باستخراج هذا القسم من المجلد السادس من كتاب تاريخ التراث العربي (وهو في علم الفلك)، وترجمته وطبعه قبل البدء في ترجمة وطبع الكتاب كله، وبالفعل أعادت في سنة ١٤٠٣/١٩٨٣ طبع المجلد المنشور في إصدار جديد في أربعة أجزاء.

ويدل الكتاب المطبوع بين أيدينا على سعة نظرة المؤلف وإحاطته وجهده الجبار في تأليف هذه الموسوعة باللغة الألمانية واستحق بذلك جائزة الفيصل التقديرية في مجال البحث العلمي الإسلامي قبل عدة سنوات.

ولا شك أن المترجم الفاضل قام بجهد مشكور في ترجمة هذا القسم من الكتاب الذي يحوي أسماء مئات من المكتبات والمدن في مختلف أقطار العالم في الشرق والغرب. وضبط أسماء هذه المكتبات والمدن مهمة شاقة عسيرة، تحتاج إلى معرفة دقيقة شاملة، وخاصة لأولئك الذين لم يعرفوا لغات اسلامية وأوربية شتى، ولم يلموا بجغرافية هذه البلاد، وضبط هذه الأسماء في اللغات الأوربية كما اصطلح عليه علماء الاستشراق أسهل بسبب الإعراب بالحروف، وليس بالحركات، وبسبب العلامات الزائدة على الحروف الأجنبية، لتحديد نطق الأصوات العربية وحروف العلة، وتعرف طريقة الضبط هذا بـ Translitration كما هو معلوم عند الباحثين.

وقد لاحظ المترجم الفاضل هذه المشكلة فأبقى في كثير من الأحيان ، النصوص الأجنبية باللغات الأوربية، ولكن جانبه التوفيق في أحيان كثير أخرى، عندما اكتفى بالترجمة فقط وخاصة ما يتعلق بالأسماء الهندية.

وقبل أن أشير إلى الأخطاء في ضبط هذه الأعلام، أود أن ألفت النظر إلى قضية مهمة في مجال الترجمة للكتب العلمية مثل هذا الكتاب الذي أمامنا. وهي ترجمة الحروف والأصوات غير الواردة في العربية الفصحى، أي أصوات حروف g, p, ch في الانجليزية ويقابلها في اللغات الفارسية والتركية والأردية حروف چ (جيم الفارسية ذات ثلاث نقاط)، وپ (الباء ذات ثلاث نقاط) وگ (الكاف الفارسية ذات خطٍ زائد).

ويحمل اسم مؤلف الكتاب أحد هذه الحروف أي الكاف الفارسية (گ)، وقد اختير هذا الحرف عند طبع الكتاب في القاهرة وفي جامعة الإمام محمد بن سعود، وإن لم يستعمل في طبع القسم الذين بين أيدينا.

ونقل أعلام غير العربية التي تحمل بعض هذه الحروف إلى العربية تؤدي إلى خلط غريب ومضحك أحيانا. والبلاد العربية في ترجمة هذه الأعلام تختلف فيما بينها حسب لهجاتها المحلية، فمثلا يترجم البعض اسم المستشرق الانجليزي المعروف Gibb بـ «جب» (أو جيب أحيانا) والبعض الآخر يجعله «كب»، وغيره يكتبه «غب»، والآخر يرسمه «قب» (كما رأيت في أحد كتب الدكتور علي الدفاع في جامعة البترول والمعادن بالظهران).

وإذا وقع مثلا حرفان مختلفان أي حرف الكاف الفارسية وجيم العربية) في كلمة واحدة، فكتابتها في الصورة التي يستعملها معظم إخواننا المصريين يؤدي إلى صورة غير دقيقة ومضحكة، فمثلا يكتبون اسم ولاية هندية مشهورة Gujrat, جُوجرات.

وتجنبا لهذا الخلط والخطأ في النطق قرّر الباحثون الثقات المنتبهون إلى هذه المشكلة إلى اختيار الحروف الثلاثة الفارسية في رسم مثل هذه الأعلام كما يلاحظ في ترجمة دائرة المعارف الإسلامية إلى العربية بقلم الدكتور عبد الحميد يونس وزملائه، وترجمة كتاب تراث فارس بقلم الدكتور يحيى خشاب والآخرين، وكذلك صنع مؤلف كتاب: صلات بين العرب والفرس والأتراك، الدكتور حسن مجيب المصري، واستعملتها أما في ترجمة كتاب استنبول وحضارة الدولة العثمانية (طبعة ثانية، دار الشروق، جدة ١٩٨٢)، وكذلك بعض الكتب العلمية الأخرى.

والعرب قد اشتهروا قديما بضبط الأعلام بدقة كما فعل ابن خلكان مثلا وغيره. فحبذا لو اختار المؤلف هذه الطريقة، وليس ذلك بصعب في الطباعة حاليا، مع تنبيه القارىء إلى تلك الحروف وأصواتها.

وإذا لم توجد هذه الحروف في اللغة العربية فأصوات بعضها مستعملة في اللهجات المحلية في مختلف البلاد العربية، فمثلا صوت الجيم الفارسية أو Ch الانجليزية يستعمله سكان الخليج والسواحل الشرقية بالسعودية. وصوت الكاف الفارسية أو G الانجليزية ينطق به أهالي مصر من غير منطقة الصعيد، كما يستعمل هذا الصوت سكان الجزيرة العربية، والأردن واليمن وصعيد مصر وليبيا في نطقهم لحرف القاف.

ولعل المترجم الفاضل يتبع هذه الطريقة العلمية السليمة في ترجمة بقية مجلدات هذه الموسوعة. وبالإضافة إلى الأخطاء الناشئة عن اختلاف هذه الحروف والأصوات في اللغة الألمانية واللغة العربية وقعت في الترجمة بعض أخطاء أخرى أذكرها فيما يلي، رجاء استدراكها في الطبعات القادمة.

صفحة – سطر	خطأ	صواب	ملاحظات
١٠–١٨	سنة ١٩٦٤	سنة ١٨٦٤	كما في النص الألماني.
١٣–١١	عماد الدين	إمام الدين	كما في النص الانجليزي.
٦٣–١٥	أعد	أعدت	إذا الأسم الأول أنجيلا المذكور في الأصل اسم النساء.
٦٦–٣	ياغما	يغما	اسم مجلة ايرانية شهيرة.
٦٦–٧	عبد الرحيم مولوي	مولوي عبدالرحيم	مولوي لقب علمي ديني كالشيخ ويسبق الاسم.
٦٦–٧،١٠	دار العلوم الإسلامية	الكلية الاسلامية	دار العلوم في الباكستان والهند يطلق على مدارس عربية. ولم تكن هذه الكلية بهذه الصفة.
٦٧–٢١	روالبدي	راولبندي	اسم مدينة معروفة في الباكستان. وهذا الخطأ ورد عدة مرات بعد ذلك، فيصحح.
٧٠–٩،١٠	إتون	إيتن	كلية شهيرة في بريطانيا، ونطقها كما ضبطت.
٧٤–١	كيمبردج	كيمبرج	الدال المكتوبة في الأصل لا تنطق.
١٣٢–١٧	الثامن الهجري/ الثاني عشر الميلادي	.../ الرابع عشر الميلادي.	خطأ ظاهر.
٥٥–١	صيدناية	صيدنايا	مدينة في سورية ويكتبها سكانها بالألف في الأخير.
١٥٠–١٤	معلولة	معلولاء	قرية السريان المعروفة في سورية.
١٦٥–١٠	فهرست ي كتابخانه	فهرست كتابخانه	لا معنى للياء، بل هي كسرة الإضافة بالفارسية.
١٦٥–١٠	مزاوي عبد القادر	مزار عبدالقادر	« « «
١٩٢–٢٢	إنامي	النّامي	أخطأ المترجم في فهم A.K. Ennami وهو صديقنا الدكتور عمرو خليفة النامي من ليبيا.
٢١٩–٣ (من أسفل)	مكتبة جوبامن	مكتبة كوبامئو Gopa Maw	وقد ورد في الأصل ما يفيد بأن المؤلف لم يعرف مكان هذه المكتبة، وكتب الاسم في الأصل الانجليزي خطأ Gopa Man، وصوابه كما ذكرت. وكوبامئو مدينة في ولاية أتّرپرديش بالهند أعد فهرس مكتبتها صديقنا الدكتور محمد عبد الحق أنصاري.
٢٢٠–١٧	كُتبخان	كُتبخانى	وكتب خاني بمعنى دور الكتب أو المكتبات، مع إمالة الياء في الأخير، وهي للجمع باللغة الأردية.
٢٢١–٤	ألوار	ألْوَر	مدينة شهيرة في الهند. تكتب بدون الألف الثانية.
٢٢١–٢٧	بنكي بو =بنكيور	بانكي بور =بانكيبور	مدينة شهيرة في الهند، وتكتب مشبوكة في العادة مركب من كلمتين بانكي + بور.
٢٢٢–١	مودودي ومعين الدين	(سقط بينهما اسم مسعود عالم M.A. Nadawi	ويلاحظ اضطراب المترجم في رسمها في صفحة ٢٢٢.

٢٢٢ـ٦ (من أسفل)	بهادور	بهادُر	وكذلك بعد سطرين، ثم في ص ٢٢٣ سطر ما قبل الأخير وهذا الاسم يوجد في مصر. وورد صحيحا في صفحة ٢٢٥.
٢٢٢ـ٧ (من أسفل)	باتنه	بتنه	بدون الألف.
٢٢٢ـ٥ (من أسفل)	أ.د.روس	إي.د.روس	E.D. Ross
٢٢٥ـ٦	الطبية والعربية	الطبية العربية	بدون الواو بين الكلمتين.
٢٢٧ـ٧ (من أسفل)	بمخطوطات أوناني الطبية	بمخطوطات الطب اليوناني	والطب اليوناني اسم الطب العربي في الباكستان والهند.
٢٣٠ـ٣	مكتبة الدولة	مكتبة الإمارة	ترجم المؤلف كلمة State مرة بالدولة وأخرى، (سطر١١) بالولاية، والحقيقة أن رام بور Rampur كانت إمارة مستقلة في عهد الاستعمار البريطاني بالهند، يحكمها نواب أو أمير، وهي المكتبة الخاصة في قصره واسمها الآن مكتبة رضا، على اسم آخر الأمراء.
٢٣٠ـ١٥	بيام ناو	بيام نو	ويستحسن كتابتها بيام نو، وهو اسم مجلة ايرانية، و(نو) معناها الجديد. وبيام (بالباء الفارسية) الرسالة.
٢٣٠ـ السطر الأخير	عبارة السطر مضطرب كلها	وقرأته الصحيحة	أعد مختار الدين أحمد فهرسا للمخطوطات العربية والفارسية والأردية بعنوان فهرست مخطوطات... الخ.
٢٣٣ـ٦	لكناو= لكناوُ = لكهنو	لكهنؤ	رسم المترجم اسم هذه المدينة المشهورة في الهند بثلاث طرق، مع علامة يساوي أي ترسم الكلمة في العربية بهذه الطرق الثلاث، وكلها خطأ والصواب كما ضبطناه ، بالهاء في الوسط، والهمزة على الواو. واختار المؤلف بعد ذلك رسم لكنا وفي عدة مواضع وهو خطأ.
٢٣٨ـ١	آن آربور	آن آربَر	هكذا نطق الكلمة، وليست (o) الانجليزية صوتها دائما صوت الواو، بل قد يكون صوتها مثل صوت الفتح.
٢٣٨ـ١٤	برنستون	برنستَن	تنطبق عليها الملاحظة السابقة. ويلاحظ أن المترجم كتب اسم مدينة Boston هكذا: بوسطن في ص٢٤٠ وهي صحيحة، ولكنه لم يتبع هذه الطريقة هنا.

هذا وتنطبق كثير من هذه الملاحظات على الأسماء الواردة في كشاف المكتبات في آخر الكتاب، وبالاضافة إلى ذلك فقد وردت فيها بعض الأسماء مكتوبة بغير الصورة المستعملة في متن الكتاب.

فمثلاً:

ص ٢٥٦ السطر الأخير، العامود الأول، كتب فيها: أرانجاباد، وصوابها أورنكك أباد كما ورد في المتن تحت رقم (١٤٥١).

وفي ص ٢٦٦، السطر الثالث، العامود الثاني كتب فيها: ميزور، الهند، وصوابها ميسور كما في المتن تحت الرقم المذكور أمام هذه الكلمة.

وفي ص ٢٦٧، العامود الأول، ورد اسم هوفلي أمامباراء وصوابه: هُغلي إمام باره (وهي في كلكته بالهند). وإمام باره، مكان الاجتماع والنواح عند الشيعة، (على مقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه في كربلاء)، كما يضعون فيه نماذج من الخشب المزوق لضريح سيدنا الحسين وبعض الأعلام والرايات.

ص ٢٦٩، السطر الأخير: ورد : «دار باره»، وصوابه «درباره»، و(در) فارسية بمعنى في.

وتصحح هذه الأسماء في كشاف المختصرات الدالة على المكتبات في صفحة ٢٧٤ وما بعدها.

هذا، وبالنسبة للأصل الألماني فاستميح الأستاذ المؤلف لأقول بأنه ذكر مكتبات الهند بشمول منقطع النظير اعتمادا على بعض المراجع الهندية الحديثة باللغة الأردية، أو باطلاعه الشخصي في زيارته للهند، ومن الغريب أن فاته ذكر مكتبة حبيب كنج، وهي مكتبة العلامة الراحل، مولانا حبيب الرحمن الشرواني في قرية حبيب كنج قرب مدينة عليكرْه. وقد ذهب إليها صديقنا المرحوم الأستاذ رشاد عبد المطلب في بعثة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) في أوائل الخمسينات من هذا القرن الميلادي، وصوّر منها بعض المخطوطات للمعهد المذكور.

لقد ذكر المؤلف عدداً من فهارس مجموعات الكتب في جامعة برِنْسْتُن بالولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه فاته ذكر الفهرس الشامل الذي أعده صديقنا المأسوف عليه الدكتور رودولف ماخ Rudolf Mach لمجموعة يهودا في مكتبة هذه الجامعة بعنـوان :

Catalogue of (Yahuda Section) in the Garrett Collection, Prinston University Library

وطبع هذا الفهرس الوصفي بجامعة برنستن في عام ١٩٧٧م.

تطـور الاستشراق في دراسـة التـراث العـربي لعبـد الجبـار نـاجي

معتـز محي عبـد الحميـد

إن الجانب المهم في موضوع الاستشراق إذا ما رجعنا إلى بداياته نجد أن الحركة قد ظهرت وتحددت اتجاهاتها وتركزت في الفترة التاريخية التي برز فيها مخطط الغرب مدفوعاً بدوافع سياسية واقتصادية للتوجه نحو الشرق والمنطقة العربية بالذات لاستعمارها والسيطرة على مصادر الثروة فيها واستغلالها. إن المطامع الغربية لم تظهر بصورة فجائية بعد الثورة الصناعية الأوربية إذ أن هناك شواهد ثابتة تشير إلى أن الغرب وعلى حقب متلاحقة حاول عسكرياً فرض هيمنته على المناطق المهمة في الخارطة العربية، ومن أجل ذلك ظهرت الحاجة إلى الكتابة عن المنطقة ليكون عوناً ودليلا إلى المستقبل، فلقد ألّف (فلافيوس اديان) اليوناني عدة كتب أهمها كتابه عن حملات الاسكندر الكبير جعله في خمسة عشر قسماً وصف في ثمانية أقسام منها أحوال منطقة الخليج العربي والهند، ورحلة القائد اليوناني نير خوس قائد الاسكندر في الخليج. أما بالنسبة للمؤرخ المعروف (سترابون) فقد أفرد في كتابه عن (الجزيرة العربية) فصلا خاصاً تحدث فيه عن المدن العربية والقبائل وبين فيه أحوال العرب التجارية والاجتماعية والاقتصادية إذ أنه أفاد من مرافقته لحملة (غاليوس) وكان صديقاً ومقرباً لقائدها، وهي حملة مشهورة وقعت سنة ٢٥ ق.م كان الهدف منها السيطرة على بلاد اليمن ووضع اليد على تجارتها ومصادر الثروة فيها والامساك بطرق التجار الهامة هناك.

وفي القرن السادس عشر الميلادي توجهت حملات البرتغاليين لاستعمار المنطقة العربية والسيطرة على التجارة فيها وتأمين الطرق الممتدة عبر المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر، هذا المشروع سبقته حركة عسكرية نشطة أطلق عليها اسم (حركة الاستكشافات الجغرافية) وفي الحقيقة أنها حركات استكشاف علمية في ظاهرها من أجل الوصول إلى المناطق المسيطرة على طريق الهند التجاري، إنها في واقعها، وبما استطاع روادها من جمع معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مفصلة عن المنطقة، مهدت السبيل وقدمت العون الكافي للقائد البرتغالي البوكيرك في أثناء توغله العسكري في منطقة الخليج العربي وغزوه للمناطق الآهلة بالسكان غزواً عسكرياً وحشياً مضطهداً فيه عرب المنطقة جاعلا هدفه من ذلك إضعاف هيمنتهم التجارية للاستحواذ على مصادر التجارة والثروة في الخليج العربي . مما أوردناه يتبين أن الأطماع الغربية في المنطقة العربية ليست وليدة القرن التاسع عشر فصاعداً ، وإنما هي قديمة، كما أن الكتابات عن أوضاع المنطقة اجتماعياً وتاريخياً وجغرافياً واقتصادياً بما يخدم تلك الأطماع هي الأخرى قديمة ومرتبطة بها، لذلك لا يمكن في رأي الأستاذ المؤلف وصف تلك الكتابات بأنها مساهمات استشراقية. لقد أثار موضوع الاستشراق والمستشرقون وعلاقتهم بالاسلام والفكر الاسلامي اهتمام عدد غير قليل من المفكرين العرب، والكتاب الذي نطرحه اليوم مستعرضين ما ورد فيه بين

يدي القارىء هو من سلسلة الموسوعة الصغيرة يحمل الرقم (٨٥) من اصدارات دار الجاحظ للنشر التابعة لوزارة الاعلام في الجمهورية العراقية، قام بطبعه دار الحرية للطباعة ببغداد وهو من الحجم الصغير في ١٣٤ صفحة وهو من أربعة فصول أوشكت أن تعطي القارىء العربي صورة واضحة ومركزة عن حركة الاستشراق وأهم ما توصلت إليه من نتائج التركيز على أعلامها ومؤلفاتهم وما أفرزته هذه الحركة من ظواهر إيجابية ومردودات سلبية:ـــ

*** الاستشراق والتاريخ العربي الاسلامي :ـــ**

في الوقت الذي نظر فيه الكتّاب العرب إلى التحيز والتعصب اللذين اتسم بهما الاستشراق ضد الاسلام، فإن عدداً من المؤلفين الأجانب وقفوا في عدد من مؤلفاتهم على المساهمات الاستشراقية تلك موضحين أهميتها من جانب وموجهين الأنظار إلى المراكز الثقيلة التي دارت حولها كتابات أولئك المستشرقين وبصورة خاصة الأوائل منهم، وضع (سادرون) كتابا تضمن وجهات نظر غربية تجاه الاسلام خلال فترة العصور الوسطى، وكتب (فوك) وهو الماني عن الدراسات العربية في أوربا. وتوالت بعد ذلك الدراسات الهامة والكتابات الغزيرة لأمثال إبراهيم جيجير ووليم ميور ومايكل اماري ورينان وغوستاف وأميل لودفيج وكيتاني وتوماس آدفر.

والحديث عما كتبه الأجانب عن مساهمات رجال الاستشراق الأوائل يحتم علينا أن نطرح المزيد من الكتابة العربية ونركز على التفسيرات الحاقدة والمتعصبة التي صدرت من أولئك المستشرقين الأولين، لأنهم بما خلفوه من كتابات وضعوا أسساً أثرت في التفكير الأوربي عن الاسلام والتراث العربي الاسلامي، ولعل ما كتب في هذا الباب إلى الآن تعوزه الدقة، والرجوع إلى الكتابات الأصلية للمستشرقين لدرسها وكشفها واظهار زيفها ونقضها على معتنقيها، كما أن ما كتب إلى الآن لم يقف على الخلفية التاريخية الأوربية من أجل إبراز الدوافع الحقيقية الكامنة وراء أولئك المستشرقين، فان الفترة التاريخية التي ظهرت فيها تلك الكتابات لعبت أدواراً في بعض الأحيان في توجيه روح تلك الدراسات الوجهة التي تعنيها.

*** المجالات التي ركز عليها الاستشراق في دراسة التاريخ العلمي الوسيط :ـــ**

لقد دفع عدد غير قليل من أولئك المستشرقين الأوائل والمتأخرين على حد سواء كتابات اتسمت بدوافع دينية وسياسية وعنصرية وذلك بالتخصص في البحث في مواضيع معينة دون غيرها من التراث الحضاري كالتخصص في الكتابة عن الفرق الاسلامية أو المذاهب الفقهية أو الدعوة الاسلامية وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، إن المستشرقين في كل من فرنسا وألمانيا وبريطانيا وأمريكا قد شغلتهم هذه الأمور كأكثر ما يشغلهم أي أمر من نواحي الحياة الأخرى لا سيما منذ القرن الثاني عشر الميلادي فصاعداً، والسبب هو العلاقة السياسية الوثيقة المرتبطة بحركة التوسع والاستعمار الأوربيين، فالكتابات الاستشراقية عن المنطقة العربية وما قدمته من معلومات تاريخية وجغرافية ودينية وإحصائية لها أهمية كبيرة بما قدمته من تفصيلات وبما كشفته من مناح خفية من وجهة نظرهم، لذلك فإن المستشرقين بتوجههم وانصرافهم إلى دراسة تلك المواضيع يكونون قد حققوا وعلى المدى البعيد أهدافاً سياسية هامة تؤدي إلى تثبيت السيطرة وبسط النفوذ السياسي.

*** المستشرقون والمراحل التي مر بها الاستشراق :ـــ**

على من يتصدى للكتابة عن الاستشراق أن يميز بين نشاطات المستشرقين ودراساتهم وبين دراسات وكتابات عدد من المبشرين ولا سيما في المرحلة الأولى من مراحل تطور الحركة الاستشراقية فلقد أكبّ بعض المبشرين على اللغة العربية يدرسها ويتعلمها وراح البعض يكتب عن الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية وعن العلاقة بين الديانتين المسيحية والاسلامية وأولى بعض منهم

اهتماماً بالنواحي الجغرافية والاجتماعية.

بقيت بعض الأفكار الاستشراقية التبشيرية مستمرة حتى القرن الحالي لا سيما في كتابات المبشر الرومنيكي جاك جومييه والأب لويس كارديت الأستاذ المتخصص في اللاهوت والفلسفة في معهد تولوز بفرنسا، والأب لامانس والأب صموئيل زويمر، ولقد اعتمد البعض من هؤلاء على الكثير من تراث العرب — المخطوط لمعرفتهم باللغة العربية.

المرحلة الأولى تمثل الاتجاهات التي سادت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد استمر خلالها الاستشراق الهولندي والفرنسي مهتماً بالدراسات اللغوية والأدبية العربية وهنا يمكننا إضافة الاستشراق الألماني والاستشراق البريطاني والاستشراق الروسي ابتداءً من القرن التاسع عشر واعتمد في نشأته كثيراً على الاستشراق الألماني فقد استدعى القيصر المستشرق (دورن) الذي كان متقناً للغة العربية ووفد على روسيا المستشرق كريمسكي وفراهن الذي أصبح رئيس قسم اللغات السامية بجامعة (زان) فنقل هؤلاء الاهتمام اللغوي إلى الدراسات الاستشراقية الروسية، ومما يجب ذكره توجه المدارس الاستشراقية الواسع نحو نشر المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمة البعض منها أو التقديم للبعض الآخر والتعريف به، ولكن المآخذ على أعمال هؤلاء خلال هذه الفترة هو أن الاتجاه نحو التحقيق أو نشر المخطوطات كان غير منسق إلا القليل منهم، فقد نشر المستشرق الهولندي دي يونغ (صحيح البخاري) و(الانساب) لأبي فضل المقدسي وكتاب (الخراج) ليحيى بن آدم القريشي.

أما بالنسبة للمستشرق الآخر المشهور (دوزي) فقد حقق (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) للمراكشي ونشر (البيان المغرب) لابن عذاري ونفح الطيب ونزهة المشتاق، ومن المستشرقين الفرنسيين دي ساسي الذي نشر العديد من المخطوطات الموجودة في مكتبة باريس الوطنية وكتب عن تاريخ قدماء العرب وأصل آدابهم وحقق عن اليمن عدداً من الكتب وأشعار لأبي العلاء المعري ومقامات بديع الزمان الهمداني والحريري، وأما المستشرق (فستنفليد) فقد قام بخدمات جليلة بتحقيقاته الكثيرة التي استطاع من خلالها نشر كتاب (تذكرة الحفاظ) للذهبي و(وفيات الأعيان) لابن خلكان و(تقويم البلدان) لأبي الفداء، و(اللباب في تهذيب الأنساب) لابن الأثير و(تهذيب الأسماء) للنووي و(البيان والأعراب عما في أرض مصر من الأعراب) للمقريزي و(المشترك) لياقوت الحموي و(المعارف) لابن قتيبة و(الاشتقاق) لابن دريد وعدد من الكتب عن تاريخ مكة المكرمة. إن الملاحظة التي ينبغي تسجيلها من قبل من يتصدى للكتابة عن تاريخ هذه الحركة هي ارتباط الدراسات الاستشراقية بالتبشير وخضوعها للتأثير الديني يقول (بيتر جران) عن الاستشراق الأمريكي إن بدايته كانت تتصل بارتباطي الدين والتجارة، وخير من يمثل ذلك (المستشرق أدوين كالفرلي) الذي عين عضواً في البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في أمريكا فكتب عن القرآن الكريم والرسول (محمد) ﷺ وعن العبادة في الاسلام، وكان المستشرق الهولندي (اربانيوس) متخرجاً باللاهوتيات، وكذلك الحال بالنسبة إلى جوليوس والبرت شولتنس والمستشرق الفرنسي بوستل، أما بروسيا فان معهد الرهبان الأرثوذكسي لقازان هو الذي اهتم بالدراسات العربية كمحاولات لاجراء المقابلات بين القرآن الكريم والانجيل، وفي جامعة خاركوف عين أول استاذ لتدريس العربية وهو راعي الكنيسة المحلية بيرنديت.

والمرحلة الثانية شهدت ضعف الاتجاه نحو اللغة العربية والدراسات اللغوية.

وخلال هذه المرحلة برزت الصهيونية كحركة شوفينية اعتدائية مستغلة تلك الصراعات الاستعمارية لصالحها واستعمارها جزءاً من الوطن العربي، إن التطورات التي شهدتها هذه المرحلة قد أثرت تأثيراً كبيراً على الحركة الاستشراقية فخضعت هي الأخرى إلى هذه المؤثرات لارتباطها بسياسة الدولة التي تنتمي إليها. ولكن من ناحية أخرى نجد عملية الكشف عن دفائن الفكر العربي في كنوز مخطوطاته ما زالت متواصلة، لكن التحول الجديد الذي طرأ هنا هو تجاوز العشوائية

والاهتمام بالمخطوطات التي تتعلق بكافة مناحي الفكر الانساني، ولقد شارك عدد من المستشرقين البريطانيين في هذا المجال إذ حققوا بعض المخطوطات وترجموا البعض الآخر إلى اللغة الانجليزية، فالمستشرق (امدروز) قام بتحقيق نخبة مهمة من التواريخ الاسلامية أمثال تجارب الأمم لمسكويه، ونشر تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي والتذكرة لابن حمدون والاحكام السلطانية للماوردي، والمستشرق (مرجليوت) الذي حقق ونشر عدداً من الكتب الأدبية كمعجم الأدباء لياقوت الحموي والحماسة للبحتري والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي، وترجم كتاب تلبيس ابليس لابن الجوزي ومختارات من كتاب الامتاع والموانسة لأبي حيان التوحيدي.

المرحلة الثالثة : ــ تناقص اهتمام المدارس الاستشراقية بالدراسات اللغوية الى درجة كبيرة ولكن المانيا استمرت تقدم عدداً من الدراسات المتعلقة باللغة العربية ويقف المستشرق (كارل بروكلمان) على رأس القائمة إذ صارت كتاباته مصدراً غنياً يرجع إليه الباحثون، إذ كتب عن النحو والصرف في العبرية والآرامية وقواعد اللغة العربية وبفضل علم النحو والصرف المقارن للغات السامية، وترتيب الهجائية العربية ويليه المستشرق (كريمر) أستاذ اللغة العربية وصاحب معجم اللسان العربي الفصيح والدراسات اللغوية عن المعاجم القديمة وغير هذين كثير. وما تسنى للمؤلف تتبعه خلال المراحل المذكورة يشير بوضوح إلى ارتباط تلك التصورات والاتجاهات بالمصالح الأوربية والأمريكية في المنطقة العربية بصورة عامة. إن هذا الاستنتاج لا يتعارض مع ما توصل إليه بعض الكتاب العرب المحدثين من تصنيف للمستشرقين بالنسبة إلى مواقفهم وتفسيراتهم لقضايانا المعاصرة وتراثنا العربي والاسلامي.

ويبقى هذا الكتاب على وجازته دراسة مهمة في حقل الاستشراق لأنه واصل ما بدأه الكتاب الأوائل عن هذه القضية فاستطاع أن يتوصل إلى نتائج هامة ليس بميسور القارىء العربي أن يتوصل إليها من خلال هذا البحث أو ذلك مما ينشر حول هذا الموضوع الحيوي الهام الذي ترك طابعاً واضحاً في حياتنا الثقافية المعاصرة وتمكن من اسماع صوت العرب في المحافل الثقافية بما نقله وترجمه ونشره من افكارهم سواء اتسم ذلك بالايجاب أو بالسلب وعلى الله قصد السبيل.

توشيـــح الـديبـــاج للقــرافي

عبـد القـادر زمـامـه
أستاذ محاضر - كلية الآداب
جامعة محمد الخامس - المغرب

القرافي، بدر الدين/ توشيح الديباج وحلية الابتهاج تحقيق أحمد الشتيوي.ــ بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٣م/ ٣٢٢ ص.

محمد بن يحيى القرافي المصري الملقب ببدر الدين ١٠٠٨ هـ ــ ١٥٩٩م من شخصيات العلم الكبيرة في مصر، التي اشتهرت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري. وأوائل القرن الحادي عشر.. تولى منصب القضاء لمدة طويلة، وتبحَّر في دراسة الفقه. وتدريس كتبه المؤلفة على مذهب الإمام مالك .. كما أنه شارك في علوم أخرى. وأسهم في التأليف والتصنيف وبسبب ذلك كان في عصره ذا حظ من الجاه عند خاصة الناس وعامتهم. وحرص القاصي والداني على الاستفادة من علمه بحضور دروسه، أو نيل إجازته العلمية..

فالمؤرخ المغربي الرحالة أبو العباس بن القاضي المكناسي ١٠٢١ هـ ــ ١٦١٦ م حينما زار مصر في رحلته الأولى ٩٨٦هـ ــ ١٥٧٨م أخذ العلم عن كثير من الشيوخ هناك واستجازهم فأجازوه . وذكر ذلك في فهرسته الخطية المسماة: **رائد الفلاح بقوالب الأسانيد الصحاح** ــ وغيرها من كتبه ... لكنه لم يتصل ببدر الدين القرافي وفاته ذلك. لهذا نجده في كتابه: **«دُرة الحجال»** يترجم لهذا الشيخ. ويتأسف في آخر هذه الترجمة على ما فاته في مصر من الاتصال به. ونيل الاجازة العلمية منه..! ج١. ص ٢٧٣. الرباط ١٩٣٤م.

والسلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي الملقَّب بالذهبي ١٠١٢ هـ ــ ١٦٠٣م كان على صلة بالعلماء داخل بلاده المغربية وخارجها يراسلهم ويستجيزهم. ويستفيد من علمهم وكتبهم ويقدم لهم الهدايا والصلات ... ومنهم بدر الدين القرافي هذا .. فقد أجازه إجازة علمية على الطريقة التي كانت مألوفة في ذلك العصر .. وذكر ذلك المؤرخون الذين نوَّهوا بمكانة المنصور العلمية وصلته بالعلم والعلماء.. وفي مقدمتهم مؤلف كتاب **الاستقصاء** ج٥ ص ١١٥ . ط. الدار البيضاء ١٩٥٥م.

هذه لمحة عن مؤلف كتاب : **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**
أما الكتاب، فهو من الكتب التراثية التي يرجع موضوعها إلى فرع من فروع علم التاريخ. وهو الفرع المهتم بتراجم أعلام الفقهاء المالكيين. وأخبارهم. وآثارهم وما لهم من شيوخ وتلاميذ..

وهو في الوقت ذاته ذيلٌ من الذيول. وتكملة من التكملات التي كتبت لتتميم كتاب شهير في هذا الموضوع. وهو كتاب: **«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»** لمؤلفه برهان الدين بن فرحون الأندلسي الأصل. المدني الدار المتوفى سنة ٧٩٩هـ ــ ١٣٩٦ م.

وكتاب ابن فرحون استمد مؤلفه مادته الأساسية من كتب شتى أندلسية، ومغربية، ومشرقية. وكان إلى جانب منهاجيته. يضم أعلام الفقه المالكي الذين ظهروا في عدة أقطار اسلامية عبر ما يقرب من ستة قرون..!

وحيث أنه ظهر من أعلام هذا المذهب الفقهي في الأقطار التي يسودها شرقاً وغرباً عدد من الفقهاء بعد عصر ابن فرحون. فان الضرورة دعت بعض المهتمين بهذا الموضوع إلى كتابة: «الذيول» و«التكملات» لكتاب الديباج المذهب ابن فرحون..

وبدر الدين القرافي كان بعمله هذا «يُذَيِّل» و«يكمل» عمل ابن فرحون ... وكذلك فعل معاصره الشيخ أحمد بابا السوداني التمبكتي نزيل مدينة مراكش ١٠٣٦ هـ ـــ ١٦٢٦م الذي ألف في الموضوع كتابيه : «**نيل الابتهاج**» و«**كفاية المحتاج**».

وكل من ديباج ابن فرحون .. ونيل الابتهاج للشيخ أحمد بابا السوداني ظهر في عالم الطباعة منذ مدة .. أما توشيح الديباج للقرافي فقد ظل مخطوطا إلى أن ظهر في طبعته الأولى بتحقيق وتقديم الأستاذ أحمد الشتيوي ونشر دار الغرب الاسلامي بيروت سنة ١٩٨٣م.

وبقراءة هذا الكتاب يظهر أن محققه كان على صلة بالقرافي وكتابه منذ مدة في كلية الآداب بتونس. حيث كُلف من طرف أستاذه بتحقيق قسم منه. ثم حقق القسم الآخر وفهرس الجميع. وقدم له بذكر ترجمة القرافي وكتابه التوشيح ومؤلفاته الأخرى مع ذكر مخطوطات الكتاب المحقق ومصادر التحقيق .. وما إلى ذلك...

ومجهودات المحقق واضحة في عمله .. ولا ينقص من قيمتها أنها تثير بعض الملاحظات-مما يتنبه إليه الباحثون والدارسون المهتمون بالموضوع...! فيدفعهم ذلك إلى الإدلاء بها ... بموضوعية ولباقة ...!

والاشارة هنا إجمالاً لبعض الملاحظات...

١ ـــ ترجم القرافي لأحمد بن علي البلوي الواداياشي الذي خرج من غرناطة بعد سنة ٨٩٠ هـ ـــ ١٤٨٥م قبل سقوطها مع أسرته. ومر بتلمسان وتونس. واستجاز عدة أعلام من أهل الغرب الاسلامي ... ثم رحل إلى بلاد المشرق .. حيث كتب «ثبته» الشهير ... وتوفي غريبا عن وطنه ... كما توفي والده غريبا أيضا .. ولم يذكر القرافي وفاة البلوي لعدم اطلاعه عليها .. لكن المحقق ذكر هذه الوفاة ص ٥٥ تعليق:١. وجعلها سنة: ٨٣٠ هـ ـــ ١٤٢٧م...! وهذا بطبيعة الحال لا يستقيم مع خروجه من غرناطة بعد سنة ٨٩٠ هـ ـــ ١٤٨٥م فلا شك أنه وقع ما وقع في تعيين هذه الوفاة ...! لأنها وقعت بعد هذا التاريخ بكثير...!!

٢ ـــ البيتان الشهيران المعروفان ببيتي الرقمتين:

رأت قمر السماء فأذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني

كتب الشطر الأول من البيت الأول ص ٧٨ وهي:
٢٧٦ هكذا : رأيت قمر الزمان فأذكرتني...!!
والمعروف في رواية البيتين الشهيرين :
ـــ رأت ... لا رأيت ...!
ـــ قمر السماء ... لا قمر الزمان...!

٣ ـــ ترجم القرافي لأحمد بن عمر المزجلدي تلميذ ابن غازي وأتى بجملة من شيوخه فيهم: يوسف الأغصاوي .. وهذه النسبة شهيرة إلى قبيلة : غصاوة بالصاد أو غزاوة بالزاي.. وما زالت معروفة إلى الآن .. وقد ورد في نص التوشيح هكذا يوسف الأعضاوي بالعين ... والضاد ... ص ٦٤ .. وجاء في التعليق: ١ «في نيل ص:٨١. الأغصاوي.»

وكان ينبغي أن يثبت في النص : الأغصاوي ويشار في التعليق إلى ما وقع من خطأ عند الناسخ وأن التصحيح من كتاب **نيل الابتهاج** للسوداني...

٤ ـــ ترجم القرافي لأحمد بن محمد اللَّجاني ص٦٢. وكذلك ترجم له. أحمد بابا السوداني في **نيل الابتهاج** ص٧٨. لكن اسمه كتب في التوشيح هكذا: اللجا...! والنسبة معروفة إلى الآن هكذا: اللجائي..

٥ ــ ترجم القرافي لأحمد الدقُّون خطيب القرويين. صاحب الفهرسة الشهيرة التي أجاز بها تلميذه وصديقه محمد شقرون المغراوي الوهراني ... وقد ترجمه كثيرون .. وظهر اسمه في التوشيح ص ٦٤ هكذا: أحمد الدقوني.. مع ياء النسب..

فسواء كان ذلك من أصل المؤلف .. أو من عمل النساخ. ينبغي التنبيه على ذلك نظرا لما جاء في المصادر العديدة التي ترجمته وكتب فيها: الدقون ... لا الدقوني...

٦ ــ ترجم القرافي لعبد الله بن عبد الواحد الورياجلي ص١١١ وكذلك ترجم له الشيخ أحمد بابا السوداني في **نيل الابتهاج** ص١٥٩ .. لكن اسمه ظهر في **التوشيح** هكذا: عبدالله بن عبدالواحد الوزياحاي...!!!

وأشار في التعليق رقم ٣ إلى أنه في ب : الورتاجي وفي نيل ص١٥٩ الورياجلي ...

والحقيقة المعروفة ــ فيما نعلم ــ من المصادر والمراجع هي أنه «الورياجلي» بالجيم المعقودة وهذه النسبة إلى بني ورياجل ... وهي نسبة معروفة إلى الآن ... وسواء كان التحريف من أصل المؤلف أو من عمل الناسخ ينبغي التنبيه على ذلك نظرا لما جاء في المصادر التي ترجمته وكتب فيها هكذا: «الورياجلي».

٧ ــ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي النحوي شارح ألفية ابن مالك ترجمه القرافي ص ١١٥ وترجمه آخرون .. لكن كنيته ظهرت في التوشيح هكذا : أبو زياد...! وهذا غير معروف في المصادر الأخرى ... بل المعروف أنه يكنى من اسمه عبد الرحمن بأبي زيد .. فكان ينبغي التنبيه على ذلك..

٨ ــ ترجم القرافي لعلي البلوي الودياشي والد أحمد البلوي سابق الذكر. ونقل عن ابن غازي. وعن السخاوي في الضوء اللامع ... وقد وقع في ذلك شيئان:

ــ الواداياشي. بالشين. ظهرت في الترجمة المذكورة هكذا: الوادياسى. بالسين...!

ــ وهو الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائة ــ ٨٩٦هـ ظهرت في الترجمة المذكورة هكذا:

وهو الآن في سنة ست وستين وثمانمائة ــ ٨٦٦هـ وهكذا ينبغي التصحيح المستند إلى الواقع التاريخي فأسرة البلوبيين خرجت من غرناطة بعد سنة ٨٩٠هـ وذهبت إلى المشرق فالمؤرخ الذي ينقل عنه القرافي والذي عرف هذا الشخص وقدَّر سنه بأنه لم يكمل الستين.. ينبغي بل يجب أن يشير إلى سنة ٨٩٦هـ لا إلى سنة ٨٦٦هـ...!!

هذه بعض الأشياء التي أثارت انتباهنا في هذا العمل المفيد الذي أنجزه الأستاذ أحمد الشتيوي .. ويبقى بعد ذلك أن كتاب **توشيح الديباج** الذي ظل قرونا في عالم المخطوطات .. قد ظهر في حلة قشيبة بمجهود الأستاذ المحقق .. ومساعي دار الغرب الاسلامي المهتمة باحياء التراث.

ديــوان هيــاكل الحـــب لحسنـــي فــريــز

جميـــل علـــوش

فريز، حسني/ ديوان هياكل الحب.ـــ عمان: مطبعة الشرق ومكتبتها، ١٩٧٩، ٢١٢ ص.

اعله من غير المستطاع اعطاء صورة صادقة ومكتملة عن ديوان «هياكل الحب» للاستاذ حسني فريز قبل التطرق للقضايا التالية:

١ ـــ الحركة الأدبية في الأردن.
٢ ـــ الحركة النقدية في الأردن.
٣ ـــ الصراع بين جيل الشيوخ وجيل الشباب.

فالأستاذ فريز نبتة من نبات الأردن. والحديث عنه يتصل بالحركة الأدبية الأردنية اتصالاً وثيقاً. هذا إلى أنه من غير المستطاع وضع هذا الشاعر في المنزلة التي يستحقها دون النظر لما يضطرب حوله من تيارات أدبية ومن اتجاهات نقدية. وأنا جدُّ عارف بأنه ليس من المتيسر اعطاء هذه القضايا حقها من البحث في هذه العجالة. وقد قصدت من الالماح إليها مجرد التقديم لديوان «هياكل الحب» دون الخوض في التفصيلات والتفريعات. ونحن مضطرون إذن للإيجاز الشديد وبخاصة أن الحديث عن الديوان بأجزائه الثلاثة وما يلحق بهذه الأجزاء من مقدمات هو عبء كبير يحتاج إلى مجال أوسع وزمن أطول.

وأود التنبيه هنا إلى خطأ الأعتقاد بأنَّ الحديث عن الأدب في الأردن هو ضرب من الاقليمية؛ وذلك أن المؤرخين مثلاً عن الأدب في البصرة والكوفة وبغداد والأندلس وغيرها من الحواضر والأقاليم العربية وغير العربية. ولم يزعم أحد بأنهم صدروا في ذلك عن نزعة اقليمية. وقد يكون من الأقرب إلى الصواب أن نقول إنهّم تحدثوا عن بيئات أدبية، كل بيئة تنفرد بملامح وسمات مستقلة.

وربما كان فيما كتبه تين وسان بيف في القرن التاسع عشر عن أثر الجنس والبيئة والعصر في تكوين الأديب، تفسير لهذه الاتجاهات التي سلكها المؤرخون في معالجة شؤون الأدب. هذا بالاضافة إلى أن في هذا المسلك كثيرا من الحصر والانضباط والتخصيص، مما يساعد على التزام الدقة والموضوعية في الكتابة.

وعلى الرغم من أن للحركة الأدبية في الأردن روافد في الحركات الأدبية في العالم العربي وبخاصة القاهرة وبيروت، فهي تملك من المميزات والخصائص ما يجعلها متفردة مستقلة بين الحركات الأدبية العربية بفعل البيئة والمناخ السياسي والاجتماعي وغير ذلك من العناصر المؤثرة في تكوين الأدب.

وثمة من يبالغ في تقدير قيمة هذه الحركة كما أنَّ ثمة من يشتطّ في إنكارها والانتقاص من قيمتها. ونرجو ألا يكون الباعث على ذلك في كلا الحالين إقليميا أو سياسياً. فلا شك أن المقاييس السياسية قد تلغي مقاييس الأدب وتحدُّ من عملها. على أنه من الجدير بمن يتصدّى لهذا الموضوع أن يلتزم الاعتدال والموضوعية فالمبالغة في سلوك كلا السبيلين مذمومة.

وربما كان من غير المستطاع الفصل في هذه المقدمة بين الحركة الأدبية والحركة النقدية في الأردن لما بينهما من ارتباط وثيق. فكلتاهما مؤثرة في الأخرى متأثرة بها، إلا أننا مضطرون

لمثل هذا الفصل انطلاقاً مما بين الحركتين من عموم وخصوص، ورغبة في ايضاح ما تتسم به الحركة النقدية من قصور في التعامل مع الحركة الأدبية.

وعلى الرغم من أني لست بعيد عهد بهذا البلد، فقد لاحظت من خلال ما يسمى بالصراع بين جيل الشباب وجيل الشيوخ أن الحركة النقدية تتسم بالمظاهر التالية:

١ ــ أن جيل الشباب يغالي في تجريد جيل الشيوخ من فضائلهم ودفعهم عن مواقعهم.

٢ ــ أن جيل الشيوخ يفتقد بصفة عامة القدرة على الدفاع عن النفس.

٣ ــ أن الشباب يغلّبون المقاييس السياسية على المقاييس الأدبية في أحكامهم النقدية.

ويبدو لنا من هذا كله، أن الحركة النقدية في الأردن قاصرة عن أن تنصف من يستحق الانصاف من الأدباء سواء كانوا من الشيوخ أو من الشباب، ولذلك نلاحظ أن كثيراً من أدبائنا ينتظرون الانصاف من خارج الوطن حين يفتقدونه في داخله، بل إن كثيرين من أدبائنا اشتهروا حقاً في خارج الوطن قبل أن يشتهروا في داخله.

ولا ريب بعد هذه المقدمة أن نرى الاستاذ حسني فريز يشكو في إحدى الندوات الأدبية وعلى رؤوس الأشهاد من التجاهل الذي يقاسيه في بلده وبين أهله. ولقد كانت هذه الشكوى مؤلمة مع أن الاستاذ فريز من الشعراء الذين يستحقون أن نقف عندهم ونتأمل شعرهم.

والاستاذ فريز يعدُّ من جيل الشيوخ. فهو كما ذكر لي من مواليد عام ١٩٠٧، وهذا يعني أنه ذرّف على السبعين مد الله في عمره. وقد يكون من الواجب استقصاء القول في تفاصيل حياته؛ بيد أن ضيق المجال من جهة وعدم المامنا بتلك التفصيلات من جهة أخرى يجعلان من الصعب القيام بذلك.

ولا اكتم القارىء أنني أحس ضخامة المهمة التي أنا بسبيل التصدي لها اليوم. فديوان «هياكل الحب» يحتوي على ثلاثة دواوين وثلاث مقدمات. وكل ذلك يوحي بالقول ويبعث على الكلام. وهذه الدواوين هي:

١ ــ ديوان هياكل الحب.

٢ ــ ديوان بلادي.

٣ ــ ديوان الحب يعلو أو الحب أعلى.

ويبدو أن الشاعر غلب جانب الحب على غيره من الجوانب فأطلق اسم هياكل الحب على الدواوين الثلاثة. وكان في ذلك صادقاً مع نفسه لأنه يصدر عن هذه النزعة الشريفة في معظم قصائده.

ويجدر بي أن أشير قبل كل شيء إلى أنه لا عذر للمقصرين في الاقبال على هذا الشاعر وقراءته والتعريف به. فليس من شرط الشاعر أن يكون متنبي عصره حتى يحتفل به ويعتنى بآثاره. كما أنه ليس من الصحيح الافتراض بأن الشاعر يجب أن يكون ذا منزلة كبيرة حتى ينال هذا الاهتمام والاعتناء. فالناقد الكبير هو الذي يحدد للشاعر منزلته. فإذا كان هم الناقد أن يتحدث عن شعراء كبار شهد لهم النقاد فما الفائدة منه؟ ثمَّ إن الصدق في تصوير البيئة الأدبية يقتضينا أن نتحدث عن جميع شعرائها على مختلف مستوياتهم.

وفي حديثي عن ديوان «هياكل الحب» سأتوقف عند النقاط التالية:

١ ــ مقدمة الديوان التي تتضمن صوراً عن موقف الشاعر من الشعر وقضاياه.

٢ ــ الأبعاد التي تحرك الشاعر ضمنها في ديوانه.

٣ ــ الشاعر بين التجديد والتقليد.

٤ ــ القيم الفنية في الديوان.

ونرى الشاعر في المقدمة معنياً بالدفاع عن الموضوعات التالية:

١ ــ شعر المناسبات.

٢ ــ شعر الهجاء.

٣ ــ الشعر الكلاسيكي أو عمود الشعر.

وعلى الرغم من أني اعرف الدوافع التي حدت به إلى هذا الدفاع عن شعر المناسبات فلا أظنه كان بحاجة إليه لسقوط

الحجج التي يسوقها أنصار الحديث بهذا الصدد. فالتهمة ساقطة من أساسها. وإذا سقطت التهمة كان مجرد التفكير في محاولة إسقاطها عبثاً. ودعوى سقوط شعر المناسبات باطلة للأسباب التالية:

١ ـ أنها من قبيل التعميمات التي لا تقوم على دراسة وعمق. وهي أشبه بالشعارات الكثيرة التي يرفعها النقاد دون دراسة أو تمحيص.

٢ ـ إن المناسبات جزء أساسي من واقعنا. واذا كان الأدب صورة صادقة عن الواقع فمن الغبن أن ننكر هذه الصورة سواء كانت مرضية أو غير مرضية. ولقد شكا حافظ ابراهيم من هذه الازدواجية بقوله: إنهم يشددون علينا للمشاركة في المناسبات ثم ينعون علينا هذا الشعر الذي نستجيب إليهم به.

٣ ـ من قصائد المناسبات ما هو جيد ومنه ما هو سيىء مرذول، والعبرة في ذلك بالشاعر لا بالمناسبة. وقديماً قال النقاد: ليس للموضوع في ذاته قيمة أو فضيلة. والتنافس يقع بين القصائد لا بين الموضوعات.

وعلى هذا المنوال نرد على من ينكرون شعر الهجاء والشعر العمودي بصفة عامة. فنحن في نقدنا للشعر نحكم على القصيدة الواحدة، فليس من الحكمة ولا الكياسة التعميم في الحكم. فمهاجمة شعر المناسبات أو شعر الهجاء أو المدح أو الشعر العمودي هي جزء من حرب الشعارات التي ابتلينا بها في أيامنا هذه .

وعلى هذا الأساس يبدو أنه لم يكن من الضروري أن يدافع صاحبنا عن نفسه في اختيار ما اختار لنفسه من أشكال وموضوعات. فالشعارات التي الجأته إلى هذا الدفاع ساقطة ليس لها قيمة. انني قبل أن أفكر في هذا وذاك من الشعارات الزائفة يهمني أن أعرف مدى صلة الأديب بلغته وتمكنه من أدواته الفنية ورسوخ قدمه في صناعته الأدبية. فاذا كان متقدماً في هذه الميادين كان جديراً بالدراسة والتقويم وإلا فلا. أما الشعارات فلا تصنع أدباً.

أما الأبعاد التي تحرك ضمنها الشاعر في ديوانه فهي التالية:

١ ـ البعد الشخصي. ويتحدث فيه الشاعر عن همومه وأشجانه وافتتانه بالجمال ومن ذلك قوله: (ص١٤).

أنا شاعر أحب النجوم لجيد فاتنتي قلادة.
أبني الهياكل للمحبة لا أملُّ من العبادة.
عش السعادة كلُّهُ نغم ووجد واستعادة.

وقد يصور بعض تجاربه الغرامية في مثل قوله: (ص ١٩)

أتذكـــر اذ تطوقنـــي وتحنـــو ... علـــيَّ وألثم الخدَّ الأسيـــلا ؟
وألثم راحتـــيك كأنَّ حلمـــاً ... رأيت ومـــا رأيت له مثيـــلا
أحلمـــاً كان لا بل حلـــم حب ... أطَـــلَّ علـــيَّ لم يمكث طويـــلا

وربما عبّر الشاعر عمّا يعانيه في بيئته من كبت فيقول: (ص ٥٨):

أمن العـــدل أن أمـــوتَ بوجـــدي ... دون أن أشتفـــي ويشفـــى الغليـــلُ

ويتسم شعره في هذا المجال بالرقة والحرارة والصدق وهو يرتفع فيه إلى ذرى سامقة. ولا اكتم القارىء أني طربت عند قراءة الأبيات الثلاثة وكثير مثلها في الديوان.

٢ ـ البعد الوطني. وفيه يشارك الشاعر الأردن أفراحه فينظم في الاحتفالات الوطنية الكبرى. ويعبّر عن مشاركته ابناء وطنه أفراح الاستقلال فينظم في ذلك ثلاث قصائد. الأولى مطلعها: (ص ١٠٣).

في العيـــد أذكـــر آبـــائي وأجـــدادي ... ومـــا تأثـــل من فخـــر وأمجادِ

الثانية ومطلعها : (ص ١٠٤)

هزّني مجد أمتـــي وازدهـــاني ... فطـــويت الـــعصور في هيمـــاني

الثالثة ومطلعها : (ص ١٢٨)

سماء الأردن المحبوب مثل سماء لبنان.

ولعل القصيدة الأخيرة دون اختيها اتقانا وجودة. بل هي تحسب في المتوسط من شعر صاحب «هياكل الحب».

ومن هذا النمط شعره في آثار جرش. فهي تنبع من عاطفة وطنية على الرغم من أنه اهتم كثيراً باستيحاء التاريخ فأجاد وأبدع.

ثمَّ هو ينتقل إلى البادية فينظر إليها نظرة اعتزاز يعبر عنها بقوله في هذه الأبيات الرائعة : (ص ٩٧):

سائلي الدهـرَ عن قرانـا ونـار
ما خبا ضوؤها بليل بهيم
سائلي البيـدَ عن حجـاج قوم
يضرمون الوغى كنار الجحيم
سائليها عن المساعيـرِ من هم
سادةُ السيـفِ والقـرى والنظيـمَ

٣ ـ البعد القومي. ونرى الشاعر يعبّر فيه عن الأماني القومية فيعتزُّ بالعروبة ويترنم ببردى والنيل والفراتين. قال في ذلك من قصيدة في يوم عيد الاستقلال: (ص ١٠٥):

تلك بشرى إلى الفـراتين طارت
وإلى النيـل في شجـيِّ الأغـاني
وإلى روضة الحجـاز وبـردى
وإلى الـدوح من ربى لبنـا
وقـف الشعـر منشداً واستفـاضت
تهنئـات الوفـود في المهرجـان
هذه الشام والعـراق ومصر
وفـلسطين والتليـد اليماني

وهو لا ينسى في عيد الاستقلال تاريخ أمته ومجدها السالف فيقول: (ص ١٠٤) :

هزّني مجد امتـي وازدهـاني
فطـويت الـعصور في هيمـاني

ورأيت الأبطـال من شرف الصيـ
ـن إلى الشامخات من تطـوان

وفي عيد جلاء الفرنسيين عن دمشق يعارض أبا تمام في قصيدته العمودية. فينظم قصيدة بائية على البحر البسيط هذا مطلعها: (ص ١٠٩)

تبسَّمَ العيـد للفيحـاء والعَـرَبِ
وكانَ همَّ المنـى والمجدِ والحقبِ

والقصيدة من القصائد المعدودة في الديوان اتقاناً وجودة وحرارة.

٤ ـ البعد العالمي أو الانساني. ويظهر من خلال مشاركة الشاعر في الأحداث العالمية من جهة وفي شعوره الانساني العميق من جهة أخرى. فمن النوع الأول قصائده في حرب الحبشة وانتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا في الحرب. وموقف الشاعر في القصيدة الأخيرة يتجاذبه عاملان متناقضان هما الاشفاق على باريس مدينة العلم والنور، والشماتة بها لما صنعت في العالم العربي من بطش وتنكيل، على الرغم من أنه ينفي هذه الشماتة فيقول: (ص ١١٩):

وما نحنُ لو تدرين نشمت بالذي
أصابك لكـن ذكريـات مواثـل

وهذه دون شك شماتة مبطنة تختلف عن الشماتة الصريحة التي جهر بها بدوي الجبل في قوله :

عشرين عاماً شربنا الكأس مترعة
من الأذى فتملّـيْ صرفهـا الآنا

ولكنه يعود إلى الجهر والتصريح في تقريع فرنسا فيقول: (ص ١٢٣):

عجبـي لكـم تتشدقـون بأنكـم
أرض لكـل تحرر وسماءُ
وتئـن أرواح الشعـوب لجورِكم
وتضجُّ طيّ دمائهـا الأشلاءُ

أما النوع الثاني لهذا الاتجاه فيتمثل في قوله في عيد الاستقلال الأردني: (ص ١٠٦)

لست أنسى في نشوتي بؤس غيري
فهـو هم مقـرّح أجفـاني
أنا عبد ما دام في الأرض قيدٌ
واحـد لا يفك من عنـق عانِ

وهذا لعمري غاية الانسانية والسمو الخلقي.

يقول الشاعر في مقدمة ديوانه: مذهبي في الشعر غير جديد من حيث أن الشعر مبانٍ معروفة على طراز خاص وغير جديد بالقياس إلى المعاني. ويضيف: فقد تركت لعاطفتي أن تنطلق في فنون القول وأن ترق مع الخيال كما تريد وكما يحلو لها. فهو ينفي عن نفسه الخَلق والابتداع من جهة وهو يدَّعيها لنفسه من جهة أخرى. ويبدو أنّ للشاعر الحق في ذلك فالتجديد لا يكون من خلال التنويع في الأنماط والأشكال وإن يكن الشاعر قدّم شيئاً في هذا المجال فقد نوّع في أشكاله الشعرية إلى حد ما، بل يكون من خلال التصوّرات الجديدة والعاطفة الصادقة والمواقف التي لا يحتذي فيها أحداً. وهذا كثير في ديوان «هياكل الحب» وحسبنا مثلاً على هذا التجديد قصائد عيد القلوب، وروح الحب، والسنديانة العجوز، وآثار جرش، وقصة بصارة، فقد ارتفع في هذه القصائد إلى أرق ذرى الفن، وكم تمنيت لو كان بوسعي أن أوضح مدى الابداع في هذه القصائد لولا أن المجال لا يتسع.

وقد يلجأ شاعرنا إلى معارضة الاقدمين، كما ذكرنا في معارضته لأبي تمام في قصيدته العمودية. وكذلك عارض ابن زيدون في قصيدته «عشت للحسن» التي مطلعها: (ص ١٨):

سمع القـلب المنـى منشدة
لحنها العلـوي لما سمعك

وعارض البحتري في قصيدة «يا فؤادي» التي مطلعها: (ص ٢٠)

يا فؤادي ذا باعث الوجد فاهدا
هو دانٍ ولـيس يولـيك صدّا

والمعارضة ليست تقليداً كما يحلو لبعضهم أن يصفها. ولكنها ضرب من الطموح الذي يُمنّي الشاعر بالجري مع كبار الشعراء في مضمار واحد. وعلى الرغم من أنّ معارضات شاعرنا قليلة فهو قادر على أن يسير مع القدماء في مضمار، ولكنه لا يستطيع أن يبذّهم كشوقي مثلاً. أما بالنسبة للقيم الفنية فنستطيع أن نقول إن الشاعر قد ملك أداته واتقن صناعته وبلغ من ذلك مبلغاً بعيداً. وعلى الرغم من إقرارنا له بهذه القدرة وهذا الاتقان، نعثر له على مزالق لغوية وعروضية كثيرة وكنت قد المحت للشاعر عنها فقال: أنا لست عالماً في اللغة والعروض ولست متخصصا في هذين الميدانين فقد تخصّصت في دراسة التاريخ. ولعل هذا ضرب من التواضع فالشاعر كما قلت يملك ناصية العروض واللغة إن لم يكن علماً فذوقاً وملكة. وكان من الممكن بقليل من التشذيب والتهذيب أن يتلافى ذلك كله. فمن الهفوات اللغوية قوله: (ص ٢٦):

غنّ لي نغمـة وليـتك تغنـي
طول عمـري عن أطـرب الأنغـام

وأطرب أفعل تفضيل اشتقه الشاعر من الثلاثي المزيد أطراب. وفي هذه الحال نقول عند بناء أفعل التفضيل اكثر الأنغام إطرابا لا أطرب الأنغام.

وقوله : (ص ١٢)

قد كنت أدري أننـي خاسر
وأننـي في مهمـة نائيـة

والمهمة الذي يعني الصحراء مذكر لا مؤنث فيقال ناء لا نائية.

وكذلك قوله: (ص ٣٣)

فمضيت أتبعـه بشوق جامح
حتـى ظفـرت به بدرب خاليـة

أنت «درباً» وكان حقها التذكير. وكان الشيخ مصطفى الغلاييني قد أخذ على الشاعر اللبناني أمين نخلة هذا الاستعمال.

فأرهق نفسه في اثبات تأنيث درب وقاسها على سبيل وطريق ولكنه لم يفلح وبدا دفاعه ضعيفاً.

وكذلك قوله : (ص ٣٣)

قالت فتـــــاة بينهن طروبـــــــة
انصتـــن لا تشربـــن إني راويــــة

قال «طروبة» والصحيح طروب لأنها مما يستوي فيه المذكر والمؤنث.

وكذلك قوله: (ص ٤٧)

فلـــولاك لم يرقص - فؤادي فرحـــة
ولـــولاك ما هاجت علي سقامـــي

أنث «هاجت» وكان حقها التذكير لأنها مسندة إلى مذكر وهو سقام. ولو قال أسقام لاستقام الكلام لو كان يسمح بذلك الوزن.

وكذلك قوله : (ص ٨٣)

ليسَ خوفـــو وقـــيصر غير رمــز
لسيـــاط مريعـــة نكـــراء

قال «مريعة» والصحيح رائعة لأنها مشتقة من الثلاثي وهي خطأ شائع.

ومن أخطائه العروضية قوله: (ص ١٧)

أمـــا يرى النـــار في عينـــيَّ موقـــدةً
أمـــا يرى . الوجـــد في شفتـــي ظمأنـــا

فلا يصح البيت إلا بتسكين الفاء في شفتي. والتسكين يخالف قواعد اللغة.

ويقع في الخطأ نفسه حين يقول.. (ص١٧)

أهـــمُّ حين أراه أن أقبِّلَـــهُ
وارجـــع الشوق من شفتيـــه ريانـــا

ويبدو أن «الشفتين» توقعان الشاعر في الخطأ العروضي فيعود ليعثر من جديد فيهما حين يقول: (ص١٩)

منـــاي التـــي ضلَّتْ وضلَّ نجيعهـــا
أراهـــا على شفتيـــك واللحظـــاتِ

ومن الخطأ العروضي قوله: (ص ٤٧)

أأنت التـــي أحببـــت آمـــال يائسٍ
أأنت أم الأمـــال في أوهـــامِ

والشطر الثاني مختلّ عروضياً.

ومن ذلك قوله: (ص ٧٩)

ما بجسمـــي من الضنـــى وبقلبـــي
من جوى شهـــــي فزدني

والشطر الثاني هنا مختل.

هذه نماذج من الهفوات اللغوية والعروضية التي أتمنى أن يتطهر منها الديوان.

وقبل أن أنهي جولتي في ديوان « هياكل الحب » يجدر بي أن أنبه إلى أن مجال القول في الديوان ما زال متسعاً. فقد تغاضيت عن ملاحظات كثيرة كنت قد سجلتها على حواشيه خشية الإطالة والإملال. والديوان ما زال بحاجة إلى كل دراسة جادة تبرز ما استتر من محاسنه وتضعه في موقعه اللائق به من الأدب الأردني الحديث.

كتاب المصون في الأدب للعسكري

إبراهيم السامرائي
قسم اللغة العربية - كلية الآداب
الجامعة الأردنية

العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله / كتاب المصون في الأدب تحقيق عبد السلام هارون.ــ القاهرة: مكتبة الخانجي، الرياض: دار الرفاعي، ــ ط٢. ــ ١٩٨٢م.

هذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب، والكتاب في هذه الطبعة قد استوفى من المحاسن ما لم يكن في طبعته الأولى التي كانت في الكويت، فقد سقطت من تلك الطبعة الأولى ورقة من الأصل، فلم تصوّر من أصل الرق سهواً.

وللكتاب أصل واحد هو نسخة في خزانة الاسكوريال.

ومؤلف الكتاب أبو أحمد العسكري الذي يلتبس فيه فالعسكريان اثنان هما : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل .. العسكري، وأبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد ... العسكري. والأول صاحب كتاب «الصناعتين» وهو كتاب مشهور معروف في الدراسات البلاغية، والثاني صاحب كتاب «التصحيف والتحريف».

وقد قدم الأستاذ المحقق مقدمة مفيدة بين يدي الكتاب في هذه الطبعة الثانية التي الغت الطبعة الأولى لما ورد فيها من زيادة واستدراك وفوائد أخرى. كانت هذه المقدمة في التعريف بـ «أبي أحمد وبيان سيرته وعلمه وتصانيفه».

وقد جاء فيها في الكلام كتبه التي «ذكر المترجمون منها»:

١ ــ التصحيف والتحريف.

ذكر الأستاذ المحقق «هارون»: أنه أشهر كتبه، «وقد طبعت قطعة منه سنة ١٣٢٦هـ. وعلمت أن الكتاب يعاد طبعه الآن كاملاً في مصر». انتهى كلام الأستاذ عبد السلام محمد هارون.

أقول : لعل هذا من مقدمة المحقق في الطبعة الأولى التي ظهرت في الكويت قبل أكثر من عشرين سنة. ولكن الذي أعرفه أن الكتاب مطبوع طبعة كاملة في مصر سنة ١٩٥٤ ومحققه الاستاذ عبد العزيز أحمد، فكيف خفي أمر هذا كله على الأستاذ المحقق فذهب إلى أن المطبوع منه "طعة وذلك سنة ١٣٢٦هـ. وكنت أود أن يشير إلى هذه «القطعة» المطبوعة من الكتاب وأين طبعت، أهي كتاب مستقل أم حاشية في كتاب أو قطعة من كتاب...!!

وقد جاء في هذه «المقدمة» في الصفحة (٧) في الكلام على مراجع ترجمة أبي أحمد العسكري: «أنساب» السمعاني .

أقول : هذا هو المشهور وليس صاحب «الأنساب» هو السمعاني ذلك أن المشهور بهذه الشهرة هو جدّه. وصاحب «الأنساب» هو ابن السمعاني، ولكن جرى الباحثون على الاختصار في هذه المسائل، وما أظن أن هذا الاختصار مفيد. ونظير هذا ما يكون في كتاب «المعرَّب» فقد جرى أهل العلم في عصرنا أن صاحبه «الجواليقي»، والصحيح المليح ابن الجواليقي. وأهل العلم من المتقدمين أشاروا إلى الصواب فالمذكور عندهم ابن السمعاني وابن الجواليقي، ومثل هذا كثير.

ثم بدأ المحقق الكلام على «الكتاب» فأوضح أن الكتاب بسنده وروايته وما فيه من النصوص التي استوعب معظمها تلميذه أبو هلال في «ديوان المعاني» ينطق بأنه كتاب أبي أحمد، وإن خلا ثبت كتبه الذي ذكره مترجموه منه. ونسخة الأصل وحيدة كما ذكرنا، وكون أصل الكتاب نسخة وحيدة شيء

يشقى به المحقق، وذلك يفرض عليه أن يكون حاذق الصنعة يتتبع مواد الكتاب في الكتب الأخرى التي أخذ أصحابها من الكتاب الذي يجهد في إخراجه، فان لم يكن شيء من هذا فالأمر عسير ولكنه يتيسر بما أوتي المحقق من كمال الأدوات. وهذا هو الذي حصل للأستاذ المحقق عبد السلام هارون.

ومادة «المصون» لفيف من مواد عدة فيها شيء من «التشبيهات» نظير ما نعرفه من «تشبيهات» ابن عون. ومواد أدبية كالتي نجدها في «ديوان المعاني» لأبي هلال، وكتلك التي نجدها في عدة من تصانيف الثعالبي الأدبية.

وكتاب «المصون» يبدأ بـ «باب في نقد الشعر» ، وهذه البداية غريبة فلم يقدم بفاتحة موجزة بعد البسملة بشيء من الحمدلة والصلاة والسلام على النبي وعلى آل بيته وأصحابه الطاهرين كما جرى على ذلك جمهرة من المؤلفين ينتقلون بعد ذلك إلى كتبهم ودواعي التأليف.

إن شيئاً من هذا لا نجده في «المصون»، ثم إننا لم ندرك سبب هذه التسمية ... كل هذا كان على المحقق أن يقول فيه شيئاً ولكنه لم يفعل وليته فعَلَ، وأنّى له ذلك والكتاب نسخة يتيمة، وليس من إشارة إلى ذلك في كتبه الأخرى، وكتب غيره ولا سيما المصادر التي تختص بالتأليف والتصنيف.

فهل لي أن أقول إن الكتاب قد سقط شيء منه من أوّله فخفي علينا من أمره هذا الذي نبسطه في هذه المقالة؟.

وسأقف وأنا أقرأ هذا الكتاب جملة وقفات تتصل بالكتاب من قريب أو بعيد فأقول:

١ ــ جاء في الكتاب في الصفحة الثالثة قول حسّان:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمَعْنَ بالضحى

. . . .

ولدنا بني العنقاء وابني محرِّقٍ
فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنَما

ولا بد من وقفة على قول الشاعر في البيت الثاني: «ابنَما».

أقول: المراد بقوله «ابنما» «ابنُمْ» وإنما فتحت النون في «ابنما» لمجاورة الفتح المطلق في «الميم». والأصل «ابنُمْ» والنون مضمومة تليها الميم، والميم علامة «للتميم» في عربية أهل جنوب بلاد العرب كما هي كذلك في اللغة البابلية، وعلى هذا فهي كالنون الساكنة علامة التنوين في العربية الشمالية الفصيحة، وقد جرى المعربون في هذه العربية على أن نون التنوين تثبت لفظاً لاخطاً في حين أن «ابنم» وصلت إلينا من لغة أهل الجنوب فتُوهّمَ فيها أصالة الميم فثبتت.

ومن يدري لعل الميم في «فم» شيء كالميم في «ابنُم» وذلك لأن المعروف أن هذه الكلمة هي «فو» من الأسماء الستة وقد لحقتها الميم للتميم كنون التنوين فيكون ذلك «فوُم» وقد عرض لها ضرب من التخفيف فصارت «فم».

ثم ماذا ؟

لم يفطن أهل العربية في شمال بلاد العرب إلى حقيقة «الميم» في «ابنُم» فأتبعوا الكلمة لنظام الكلم المعرب المنوّن في العربية فألحقوا بها نون التنوين وثبتت خطاً خلافاً للمعروف فصارت «ابنُمُن».

أقول: ورُبّما خفي هذا الأمر وتصحّف لدى النسّاخ فصار «أيْمُن» فألحقت هذه الكلمة بالأسماء التي قالوا فيها إن «همزتها» وصل وهي ابن وابنان واثنتان وامرؤ وامرأة واسم واست و«ايمن»، وهذه الأخيرة هي موضع النظر ذلك أنها «ابنُمُن» فصُحِّفت فصارت «أيمُن».

وقد ذهبت إلى القول بهذا التصحيف لأني أرى أن «أيمُن» جمع «يمين» والهمزة فيها همزة «أفعُل» من أبنية التكسير، ولا يمكن أن تكون همزة التكسير همزة وصل كقولنا: شهر وأشهُر.

٢ ــ وجاء في الصفحة الرابعة :

.... يعجبُني والله قول رُبَيِّعة بن ذؤاب الأسدي.

وقد علق الأستاذ المحقق على «رُبيِّعة بن ذؤاب الأسدي» فقال في حاشيته:

كذا، والصواب أنه ربيِّعة أبو ذؤاب الأسدي.

وساق المحقق في تعليقه خبراً يتصل بـ «رُبيِّعة» هذا يثبت صواب الاسم وهو: رُبيِّعة أبو ذؤاب وليس ربيِّعة بن ذؤاب.

أقول : إذا كان هذا هو الصواب كما قد ثبت بالنص فلِمَ أثبت المحقق الخطأ في أصل الكتاب وأشار إلى الصواب في تعليقه. والذي أراه أن العكس هو الحق الواجب وذلك لأن حقيقة

«تحقيق» النصوص هي السعي في الوصول إلى النص الحقيقي، وليس إثبات الخطأ.

ولا حجة للقائلين باحترام الأصل، وليس قولهم هذا حقاً، والحق اثبات الصواب، وأيّ «احترام» للنص والأصل نسخة فريدة؟ وأي «احترام» للنص ونحن نعلم أن النص يحمل الضيم عليه الناسخ، وجُلّ النساخ أهل حرفة ليسوا من أهل العلم، وقد يكون الناسخ من أهل العلم ولكنه معرَّض للسهو والغفلة والخطأ.

٣ ــ **وجاء في الصفحة الثامنة قول المصنف :**

فقال أبو بكر: قد أحسَنَ وملَّح، إلّا أنه جاءَ بالمعنى في بيتين، واقتضى للبيت الأول ديناً على البيت الثاني ......

أقول : وقد علق الأستاذ المحقق على قول المؤلف هذا في حاشيته فقال: عنَى ما يسمّيه العروضيون بالإيطاء.

أقول : وهذا الذي ذكره المؤلف ليس من «الايطاء» بل هو «التضمين» وقد شرحه المؤلف في الصفحة التاسعة وهو يعرض لقول الأعشى:

لا تَشكّــــي إلــــيَّ من ألم النّـــــ
ـــع ولا من حَفــــىً ولا من كلال
نَقَبَ الخُـــفُّ للسُّرى وتَـــرَى الأنْـــ
ـــساع من حَلّ ساعــــــةٍ وارتحال

قال ابن الأعرابي: «نَقَبَ الخفُّ للسُّرى»، فقلتُ: أصلحكَ اللهُ، إن تضمين بيتين عيب في الشعر شديد، أفيضمِّن الأعشى مع حذقه وتقدمه ثلاثة أبيات فيقول : ....

أقول : هذا هو «التضمين» عند العروضيين، وليس هذا «إيطاءً»، فأما الإيطاء فهو تكرار كلمة بعينها في قافية، وكلما كانت الكلمة المكررة قريبة من سابقتها كان هذا عيباً مرفوضاً فهذا هو «الإيطاء» وهو من عيوب القافية.

٤ ــ **وجاء في الصفحة الثانية عشرة** شيء في أن نظم الشعر أمر عسير لا يصل إليه الشاعر إلا بمشقة وجَهد.

فجاء في ذلك :

قال : وحدَّثني أبو أحمد عن أبيه عن اسحاق قال: كان إدريس بن سليمان بن أبي حفصة، أخو مروان يُنشد الشعر الجيد لنفسه ثم يقول : يا أبا محمد: قول الشعر أشدُّ من قضم الحجارة على من يعلمه!.

وهو القائل :

وأنفـــي الشعـــر لو يلقـــاه غيري
من الشعـــــراء ضَنَّ بما نفـــيتُ

قال أبو أحمد (أي المؤلف): سرق ادريس بن سليمان هذا القول من قول الفرزدق: أنا عند العرب أشعر الناس، ولربَّما كان نزع ضِرسٍ أسهلَ عليّ من قول بيت شعر.

أقول : وهذا الذي يشقى به الشعراء المبدعون هو الذي يجعلهم يأتون بالأدب المبدع الممتع، وإلا فهو نظم ليس فيه من الشعر إلا شكله من الوزن والقافية.

ألا ترى أن الشقاء بالوزن والقافية حفز جمهرة الشباب إلى الذهاب إلى الجديد «الحرّ». إنهم ضاقوا ذرعاً بالتزام الوزن الواحد والقافية الواحدة، وليس بالقافية ولا بالوزن ذلك أن الوزن والقافية شيء من لوازم الشاعر الجديد يسعى لهما على ألا تكون التزاماً، فهو يأتي بهما حتى إذا أحسَّ أنهما يفرضان عليه شيئاً يوشك أن يلتزم به هَرَب منهما إلى شيء آخر يجري على نغم جديد وقافية أخرى، ورُبّما دفعه ذلك إلى أن يفارق الوزن والقافية فيدخل في حيّز النثر، والوقوع على النثر في زحمة الايقاع لا يقدح بمادة الشعر بل يكون عوناً لها ومحققاً لحقيقتها.

٥ ــ **وجاء في الصفحة الرابعة عشرة:**

سمعت محمد بن يزيد يقول: لو سُئلتُ عن أحسن أبيات تصرَّفت من المراثي لم أختر على أبيات الخريمي:

ألم ترني أبنـــي على اللـــيث بيتَـــه
. . . .

أقول : وقول محمد بن يزيد (المبرّد) : ...... لم اختر عليها، يشير أن المراد بـ «الاختيار» التفضيل.

٦ ــ **وجاء في الصفحة الخامسة والعشرين البيت :**

وقـــد حَزَنَ الغـــورُ الثريّـــا كأنها
يدا رايـــةٍ بيضاءَ تَخفُـــقُ للطعـــنِ

أقول: ولا معنى لقول الشاعر «وقد حَزَنَ الغور الثريّا» والذي في عيون الأخبار، والأغاني ومعاهد التنصيص «وقد لاح في الغور الثريا» وهذا هو الوجه، وليس «حَزَنَ الغور...» وهذا يعني أن كلمة «حَزَنَ» وقعت خطأً بل قل من سهو الناسخ.

والقول بصواب «لاح الثريّا» أو «لاحت الثريّا» يؤيده ما ورد في الصفحة السادسة والعشرين في قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصبح الثريّا لمن رأى
كعنقود مُلّاحيّة حين نوّرا

وكذلك قول الأشهب الأسديّ:

ولاحت لساريها الثريّا كأنّها
لدى الجانب الغربيّ قُرْطٌ مُسَلْسَلُ

٧ — وجاء في الصفحة الثامنة والعشرين قول المصنف: ولو وقع له وزن يقول فيه باقة أو طاقات نرجس. على أنه جَنَى نرجس بمعنى مجتَنى نرجس ...

أقول: وهذا تعليق على بيت لابن المعتز:

فناوَلَنيها والثريّا كأنّها
جَنَى نرجس حَيّا الندامى به الساقي

غير أن التعليق صُدّر بـ «لو» وهذه الأداة تفتقر إلى جواب كسائر مواد الشرط، ولكننا لا نجد الجواب.

٨ — وجاء في الصفحة الثلاثين وتاليتها:

ومما وُصف به الجوزاء والشّعري، قال ابن طاطبا:

إذا ما الثريّا والهلال جلتهما
لِيَ الشمسُ إذ ودَّعتْ كَرْهًا نَهارَها
كأسماء إذ نابتْ عِشاءً وغادرتْ
لدينا دلالاً قُرطَها وسِوارَها

وقد أشار المحقق في حاشيته فقال: في معاهد التنصيص: «إذْ زارت عشياً» وفي «نثار الأزهار»: «إذ زارت عشاءً».

أقول: والذي في «معاهد التنصيص» و«نثار الأزهار» له وجه مقبول وهو خير من «نابت» و«نابت» ليس لها وجه، غير أني أرى أن الصواب: وافَت...

٩ — وجاء في الصفحة الثامنة والعشرين قول ابن المعتز يهجو القمر:

يا سارق الأنوار من شمس الضحى
يا مُثكلي طيب الكَرَى ومُنغِّصي

. . . .
. . . .

لم يظفر التشبيه منك بطائل
مُتسلِّخ بَهَقاً كلون الأبرص

أقول: ولا وجه لقوله «مُتسلّخ»، ولا وجه للتسلّخ، والصواب «مُتَسلِّع» من «السَّلَع» وهو ضرب من البَرَص، ويدلّ عليه قوله «كلون الأبرص».

١٠ — وجاء في الصفحة الثانية والأربعين باب «ومما يُستَحسن في وصف الشمس» وذكر أبياتاً وفي آخر الصفحة الثالثة والأربعين قول ابن المعتز:

تظلّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
خفيّ مُذنب من خلف سِتر
تُحاول فَتْقَ غيم وهو يأبى
كعِنّينٍ يُريدُ نكاح بِكْرِ

أقول: وليس هذا مما يستحسن وأظنه مما لا يستحسن بل ويستكره ويستقبح.

١١ — وجاء في الصفحة السابعة والخمسين قول محمد بن أحمد العلوي في باب ما يستحسن من تشبيه المحدثين:

لا تَلْهُوَ أترجَّةً فإنّي
رأيتُ منكوسَها هُجْرَتا

أقول: ولا وجه للقول: «منكوسها» والصواب: معكوسها، وذلك لأن قوله «هُجرتا» معكوس «أترجّه».

١٢ — وجاء في الصفحة الخامسة والستين قول سعيد بن حُمَيد:

لست مستقلاً بشكر ما مَضَى من بلائك ....

أقول: وقوله: «مستقلاً» بمعنى «حاملاً»، والبلاء هو الإنعام، ودلالة اللفظين ذات خصوصية مفيدة.

١٣ ـــ **وجاء في هذه الصفحة قول المؤلف :**

أخذ هذا كله من قول عليّ بن أبي طالب صلّى الله عليه:

......

أقول : والدعاء للإمام علي بن أبي طالب بجملة الدعاء «صلى الله عليه وسلم» يستدعي النظر، ولعل المؤلف يتشيّع فالشيعة تجعل الدعاء للإمام بشيء مثل هذا كقولهم: عليه السلام، وعليه الصلاة والسلام. والدعاء بـ «صلى الله عليه وسلم» من عبارات الدعاء للنبيّ لدى أهل السنة، وربّما كان الشيعة يستبعدونها.

١٤ ـــ **وجاء في الصفحة السابعة والستين :**

وقال علي بن جَبَلة بَمدَح حَميداً الطوسيّ:

وقد علق الأستاذ هارون على «حَميد الطوسيّ» فقال: كذا ورد ضبطه في النسخة والمعروف أنه بهيئة التصغير.

أقول : «الطوسي» هو «حُمَيد» بلفظ التصغير، وهذا معروف فكان على المحقق أن يثبته في نص الكتاب لأنه الصواب ويرفض ما جاء في الأصل المخطوط. وأعود ثانية إلى القول: إذا تبين الصواب فالتحقيق العلمي يوجبه لأن معنى التحقيق اثبات الحقيقة ولا عبرة لما في النص بحجة «احترامه».

ثم أن العلم بالتصغير ولم يُسَمِّ العرب بـ «حَميد» مثل «حبيب».

١٥ ـــ **وجاء في الصفحة السادسة والستين:** قال العتّابي ...

والعتّابي هو كلثوم بن عمرو.

ومن المفيد أن أقول إن «كلثوم» من أعلام الرجال لدى القدماء، فأما في عصرنا هذا فهو من أعلام النساء، وهذا التحول في الاختصاص آت من أن من كنى النساء المتقدمات «أمّ كلثوم»، وأن أم كلثوم كنية إحدى بنات الرسول تزوج بها الخليفة عثمان، فذهب ظن أهل هذا العصر أن هذه الكنية اسم فسموا بناتهم بـ «كلثوم».

١٦ ـــ **وجاء في الصفحة الثامنة والستين قول علي بن جبلة:**

وما لامرىءٍ حاولتَه منك مهرب
ولو رَفَعته في السماء المطالعُ
بَلى هاربٌ لا يهتدي لمكانه
ظلام ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

أقول : إن استعمال «بلى» من أحرف الجواب ينبغي أن يكون في جواب استفهام منفي نحو قوله تعالى:

«قال أوَلَم تؤمنْ قال بَلى ولكن ليطمئنّ قلبي».

وكقول أبي فراس:

أراك عصي الدمع شيمتُكَ الصبرُ
أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ
بَلى أنا مشتاق وعندي لوعة

. . . .

١٧ ـــ **وجاء في الصفحة الثانية والسبعين** قول زياد بن منقذ:

يا رُوقُ أنيّ وما حجَّ الحجيج له
وما أهَلَّ بَجنبَي نخلةَ الحُرُمُ

وقد علق الأستاذ المحقق على «رَوق» في البيت فقال في حاشيته: رَوق تصغير ترخيم لرُوَيقة صاحبته التي ذكرها في شعره، وفي «الحماسة»: «رُوَيق إني وما حجَّ الحجيج له».

أقول : والذي في الحماسة وجه حسن وإن «رويق» هو ترخيم، والترخيم في أعلام الإناث المختومة بالتاء يتم بحذف التاء نحو: ياميّ والأصل «ميّة» ويا ماويّ، والأصل ماوية، وحذف ألف التأنيث المقصورة نحو: يا سَلمْ والأصل «سلمي».

فأما قول المحقق في «روق» أنه تصغير ترخيم (رُوَيقة) فلا يكون ، إذ كيف يصغر الاسم المصغَّر وكان الصواب أن يقول: إنه ترخيم (رُوَيقة).

وقالوا في تصغير الترخيم هو ما كان من تصغير الأعلام المذكرة التي جاءت على بناء «أفعَل» وهذه «الترخيم» الخاص في غير النداء خلافاً للترخيم المعروف المبسوط في كتب النحو، نحو: شُقير وزُرَيق، وسُوَيْد وسُحَيم وهذه تصغير ترخيم والأصل أشقر وأزرق وأسود وأسحم كما في «أبو بكر بن شقير» نحوي خَلَط بين المذهبين، وابن زريق البغدادي شاعر عباسي متأخر، وسويد ابن أبي كاهل شاعر جاهلي، وسُحَيم عبد بني الحسحاس شاعر مخضرم ، وسُحَيم بن وَثيل الرياحي شاعر جاهلي استشهد بشعره في النحو القديم.

١٨ ـ وجاء في الصفحة الحادية والثمانين البيت:

لم يبقَ لي في منزلي لُجَّةٌ
إلا وفيها لجُّةٌ سايحةٌ

أقول : والصواب «سائحة» بالهمز، ولعلها «سابحة» بالباء من السَّبح.

١٩ ـ وجاء فيها أيضاً البيت :

وبيت ظَلْتُ فيه ضَجيعَ وَكْفٍ
مُبِنٍّ ليس يُؤذنني ببَينِ

أقول : والصواب : مُبِنّاً.

٢٠ ـ وجاء في الصفحة الخامسة والثمانين قول المصنف:

وتجمع العرب الشيء، وإن كان واحداً، قال أبو ذؤيب:

فالعين بعدهم كأن حداقها
سُمِلت بشوكٍ فهي عُور تدمَعُ

أقول : وهذا الذي زعمه المصنف غير صحيح وكان عليه أن يقول بـ «اضطرار للشاعر» وقد اقتضت لغة الشعر من وزن وقافية أن يصار إلى هذه التجاوزات. وكان على المهتمين بالضرائر أن يدرجوا هذه في جملة «ضرائرهم».

وقولنا «ضرورة» هو شيء من الخطأ الذي يضطر إليه الشاعر فالعين مفردة فكيف وصفت بالجمع فقيل: عُور؟!.

٢١ ـ وجاء في الصفحة الرابعة بعد المئة:

قال أبو أيّوب المورياني للمنصور .... «يا أمير المؤمنين تأنَّ في أمري وأرج اطراحي ....

أقول : والصواب : أرجىء بالهمزة.

٢٢ ـ وجاء في الصفحة الثامنة بعد المئة: المدايني، والصواب المدائني والنسبة إلى «المدائن».

٢٣ ـ وجاء في الصفحة الرابعة عشرة بعد المئة:

وكان يحيى يقول : من تسبَّب إلينا بشفاعة في عمل فقد حلّ عندنا محلّ من ينهض بغيره. أقول : وقوله «تسبَّب» بمعنى كان «سبباً» والسبب هو الصلة، وعلى هذا فالفعل تَسبَّب يؤدي ما يؤديه الفعل «توسَّط» في العربية المعاصرة.

٢٤ ـ وجاء في الصفحة السادسة عشرة بعد المئة في مسألة «تاريخ العربية».

أوّل من وضع العربية أبو الأسود .... فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلَحَ الله الأمير، توفِّيَ أبانا وترك (بنوناً) (كذا).

أقول : جاءت كلمة «بنون» منونّة، والذي نعرفه في المصادر التي عرضت لتاريخ النحو وهي كتب طبقات النحويين نحو نزهة الألباء للأنباري، وإنباه الرواة للقفطي وطبقات النحويين للزبيدي وغير ذلك، أن هذا الخبر ورد فيها وجاءت كَلمة «بنون» غير منونة.

أقول أيضاً إن الخبر ـ إن صحّ ـ يعني أن اللحن وقع فما كان حقه الرفع بالواو وهو «أبونا» جاء بالألف «أبانا»، وما حقه النصب بالياء وهو «بنين» جاء بالواو و«بنون». هذا هو المراد بالخبر وليس التنوين مسألة فيه.

٢٥ ـ وجاء في الصفحة الثالثة والعشرين بعد المئة بيت أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يظُنُّ لكَ الظـ
ـنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا

أقول : والذي نعرفه : «يظنّ بكَ الظن» وليس «لك الظن».

وكأنّ المحقق أراد أن يخرّج البيت في حاشيته فذكر جملة صالحة من المصادر هي الديوان، والبيان، والحيوان، وعيون الأخبار، والكامل، وديوان المعاني. ثم ختم هذه المصادر المهمة بكتاب مجهول المؤلف أكبر الظن أنه من المجاميع المتأخرة هو «مجموعة المعاني».

أقول : وهل ينقص هذه المصادر ألا يضاف إليها «مجموعة المعاني»؟ ألا يكفي أن يكون البيت في الديوان وفي هذه المصادر المتقدمة؟ وقد يقال: ان الديوان لا يكفي لأنه مجموع حديث جمعه من المصادر الدكتور يوسف نجم، إذا كان هذا، ألا يقوّي التخريج أن يكون البيت في الكامل وعيون الأخبار وكتابي الجاحظ؟!.

٢٦ ـ وجاء في الصفحة السابعة والثلاثين بعد المئة في كلام لعمرو بن العاص يخاطب معاوية واصفاً عبد الملك بن مروان:

.... وبأيسر المروّة.

وقد علق الأستاذ المحقق على «المروّة» فقال: في عيون الأخبار ١/٣٠٧: المؤونة.

أقول : الذي في «العيون» أحسن وهو موافق لما ورد في النص. ولو قبلنا ما في «المصون» وله وجه، أما كان من الصواب أن تكون «المروءة» لأن «المروّة» بالتسهيل عامية قبل كل شيء.

٢٧ ــ وجاء في الصفحة الثانية والأربعين بعد المئة من قول ابن شبرمة:

.... فإنها تُجرِّيك على المنطق ...

أقول : والهمز هنا هو الأصل لأن الفعل من الجراءة، والتسهيل ليس بوجه، وإذا أهمل النساخ رسم الهمزة في كتابة المخطوطات فان ذلك لا يعني أن يجاريهم «المحققون» مهملين رسم الهمزة تسهيلاً، بحجة ما وجدوه في المخطوطات.

٢٨ ــ وجاء في الصفحة الحادية والسبعين بعد المئة:

أنشدنا إبراهيم بن الزُّغْل العَشمي ...

وقد علق الأستاذ المحقق على «العشمي» فقال بكذا ورد في الأصل، ولعلها العبشمي.

أقول: وتعليق المحقق حق ذلك أن «العشمي» لم يعرف في ألفاظ الشهرة على طريقة النسب. ومن يدري لعلها تصحيف «العتبي» أو القتبي أو شيء آخر!!.

٢٩ ــ وجاء في الصّفحة السابعة والسبعين بعد المئة:

.... حدثني ابن أبي سعد قال: حُدِّثت أنّ الشافعي قال: لو أفكَرَ فيها سنة لكان قليلاً ... أقول : إن الفعل «أفكَرَ» شيء لا نعرفه في العربية المعاصرة، والمضاعف هو المعروف الكثير «فكَّرَ» وقد يكون من المفيد أن أشير إلى أن بناء «أفعَل» كان كثير الورود في العربية القديمة وهو يفوق في كثرته بناء «فعَّل» ومصداق ذلك لغة التنزيل العزيز.

٣٠ ــ وجاء في الصفحة نفسها والتي تليها :

ولا ينبغي أن يدع تفقُّد لطيف أمور الرعية اتكالاً على نظره جسيمها...

قول : ودلالة «اللطيف» على الصغير من الأمور، مما هو شائع في العربية الفصيحة وهو يقابل الجسيم، والضخم الكبير، وهذا شيء افتقدناه في العربية المعاصرة.

٣١ ــ وجاء في الصفحة الثالثة والتسعين بعد المئة قول ابن قيس الرقيات :

إن شيبـــــاً من عامـــــر بن لؤيّ
وفُتُـــوّاً منهم رِقـــاق النعـــالِ

أقول : و«الفُتُوّ» جمع «فتَى» وهذا من الجمع العزيز ذلك أن «فعَل» بفتحتين لا يجمع على «فُعول»، وهذا الجمع معروف في «فعْل» ساكن العين نحو شَهْرٍ وشُهور.

٣٢ ــ وجاء في الصفحة الثالثة بعد المئتين من قول أحمد بن يوسف:

.... وما عَسِيت (كذا) أن أقول في قوم......

أقول : والصواب : «عسَيت» بفتح السين.

٣٣ ــ وجاء في الصفحة الرابعة بعد المئتين في رسالة كتبها أحمد بن يوسف :

..... وتقديم جملة من ذكره، إذا عارضت بها ما في قلبك كانت موافقة ...

أقول : والمعارضة هنا تعني «المقارنة» في العربية المعاصرة، ولم تكن «المقارنة» في العربية القديمة تفيد «المعارضة».

٣٤ ــ وجاء فيها أيضاً:

وذكر أحمد بن يوسف البرامكة وصنايعهم..

أقول : وقوله «صنايعهم» جمع «صنيعة» وهذا الاسم يقتضي أن يبدل من يائه همزة في الجمع، فالصواب: صنائعهم.

٣٥ ــ وجاء في الصفحة الخامسة بعد المئتين:

وذكر سهلٌ جعفر بن يحيى فقال: كان قد جمع في كلامه وبلاغته الهدوّ والتمهل، والجزالة والحلاوة...

وقد علق المحقق على «الهدوّ» فقال: وكذا في البيان والصناعتين. وفي زهر الآداب: «الهذّ والتمهُّل» والهذّ هو السرعة.

أقول : وأنا أميل إلى قبول ما في زهر الآداب وذلك لأن المتحدث أراد ضرباً من المقابلة بين اللفظ ومعطوفه، فكان «التمهُّل» عكس «الهذّ» ويؤيّد ذلك الجزالة والحلاوة فقد تكون الجزالة شيئاً ضد الحلاوة..

وبعد فهذا ما وَقع لي من قراءة هذا الكتاب الممتع الذي حظي بعناية الأستاذ عبدالسلام محمد هارون.

مراجــع هــامــة في علــم البيئــة

أحمد عبد القادر المهندس
أستاذ مساعد - كليـة العلوم
جامعـة الملك سعـود

الكيمياء البيئية للعناصر

Bowen, H.J.M / Environmental Chemistery of the Elements.- London. Academic Press, 1979, 350 p.

يعد هذا مراجعة كاملة لكتاب المؤلف السابق وعنوانه «العناصر الشحيحة في الكيمياء الحيوية» والذي صدر عام ١٩٦٦. والذي عالج موضوع توزيع العناصر الكيميائية في البيئة والكائنات الحية. والواقع أن المعرفة الجارية قد نمت بشكل سريع منذ نشر ذلك الكتاب، ولهذا فان كل فصل من الكتاب قد أعيدت كتابته من جديد.

إن الغرض من هذا الكتاب هو معالجة موضوع الكيمياء البيئية بعمق مع التعرض بشيء من النقد لبعض الآراء. ولهذا فان هذا الكتاب ليس تلخيصا موسوعيا لمعلومات مختلفة في الكيمياء غير العضوية للبيئة.

وفيما يلي استعرض عناوين الكتاب :ـــ

— Preface
— The Atmosphere.
— The Hydrosphere.
— The Elemental geochemistry of socks.
— Soils.
— The Biosphere and Elemental Cycles.
— The Elemental Composition of Living Matter.
— Uptake and Excretion of elements by organisms.
— Essentiality.
— Defficiencies and Toxicities of the Elements.
— Chemical Forms and Functions of the elements.
— Biological Fractionation of isotopes.
— Environmental Effects of Human activities.
— Elements in the Geosphere and the Biosphere.
— Subject Index.

مناخ الأرض : الماضي والمستقبل

Budyko, M.I/ The Earth's Climate: Past and Future. London: Academic Press, 1982, 336 p.

قبل ملايين السنين كان تركيز ثاني اكسيد الكربون أعلى بكثير مما هو عليه الآن، مما نتج عنه حرارة شاملة للكرة الأرضية. ومنذ ذلك الوقت البعيد فان مستوى تركيز ثاني اكسيد الكربون قد انخفض مما نتج عنه المناخ الأكثر برودة في الوقت الحاضر وشدة البرودة في المناطق القبطية. ويقدم الدكتور Budyko في كتابه هذا النظرية الفيزيائية للتغير المناخي التي لابد من معرفتها لإدراك التغيرات المناخية التي حدثت في الماضي والتي تحدث في الوقت الحاضر. ويطبق المؤلف النظرية الفيزيائية لتقويم تأثير الإنسان على المناخ ولا سيما آثار حرق الكميات المتزايدة من الوقود الأحفوري والذي يزيد من كمية ثاني أكسيد الكربون في الجو، وربما يعيد كمية ثاني اكسيد الكربون كما كانت في الأزمان السحيقة.

ويناقش الكتاب أثر الظروف المناخية المستقبلية على العمليات

الطبيعية وعلى نشاطات الانسان الاقتصادية.

ان هذا الكتاب يقدم اسهاماً جيداً لدراسة المناخ ويناقش هذا الموضوع من كافة النواحي العلمية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

وفيما يلي الموضوعات الأساسية التي ركز عليها المؤلف في كتابه:

— Evaluation of the Atmosphere.
— Semiempirical Theory of Climatic Change.
— Natural Climatic Changes.
— Man's Impac on Climate.
— The Climate of the Future.

وبالاضافة إلى مقدمة ضافية ومراجع ودليل في آخر الكتاب.

كيمياء البيئة :

Chemistry of the Environment by R.A. Bailey and others.- London, Academic Press, 1978, 624 p.

يقدم كتاب « كيمياء البيئة »الأسس اللازمة لفهم بعض مشكلات البيئة وتقديم الحلول المقترحة. كما أن الكتاب يدفع القراء الذين لديهم معرفة أساسية بالكيمياء العامة والعضوية للتعمق في دراسة الأبحاث الأكثر تعمقاً في حقل كيمياء البيئة ويمكن أن يستخدم هذا الكتاب كمرجع للكيميائيين وغير الكيميائيين الذين يريدون تعميق معرفتهم في هذا الحقل أو في جزء معين منه. ويمكن لطلاب الدراسات العليا في الكيمياء استخدام هذا الكتاب كمرجع او لمزيد من القراءات المتخصصة.

وفيما يلي أهم الموضوعات التي عالجها الكتاب :

— Energy.
— Amspheric composotion and behaviour.
— Energy and Climate.
— Petroleum Hydrocarbons and Coal.
— Soaps and Detergents.
— Pesticides, Polychlorinated Biphenyls and other Chloroorganic.
— Compounds.

— Third Generation insect Control.
— Principles of Photochemistry.
— Photochemistry in the Biosphere.
— Polymers and Plastics.
— Chemistry in Aqueous Media.
— The environmental Chemistry in Some important elements.
— Natural Water Systems.
— The Earth's Crust.
— Nuclear Chemistry of the environment.

تحليل الماء

Minear, Roger and L.H. Keith/ Water Analysis.- London. Academic Press, 1982, 304p. vol 1. No.1

يختص هذا العمل بالتحليل الكيميائي لمكونات الماء العضوية وغير العضوية للماء الطبيعي النقي والملوث. واسهم في هذا العمل مجموعة من العلماء المختصين حيث يقدمون المزيد من التفصيلات عن نظريات تحليل الماء والتطبيقات المختلفة لهذه النظريات. ويمكن أن يستفيد من هذا المجلد القيم الطلاب والعاملون في حقل العلوم البيئية والهندسة المدنية.

ويقدم الجزء الأول من هذا الكتاب معلومات أساسية مفيدة لدراسة المكونات غير العضوية في الماء. وتشمل هذه المعلومات مصادر المكونات غير العضوية التي توجد في المياه الطبيعية ومياه النفايات، تأثير التميؤ والاذابة وعلاقتهما بالأكسدة والاختزال والرقم الهيدروجيني وتأثير ذلك على ديناميكية توزيع بعض المكونات غير العضوية، وعلى أسس التوصيل الكهربائي وتشتيت الضوء والعكارة. كما يشتمل هذا الجزء من كتاب «تحليل الماء» على مسح كامل للتقنيات المختلفة لتحليل الماء من الناحية النوعية والتي تستخدم لقياس الأنواع المختلفة من مكونات الماء غير العضوية، وفيما يلي الموضوعات التي عالجها الكتاب:

— Origin and Nature of Selected inorganic Constituents in Natural Waters.
— Redox Potential: Its Measurement and importance in Water Systems.

— Alkalinity and acidity.
— Conductance : A Collective Measure of dissolved ions.
— The theory and measurement of turbidity and residue.
— A summary of methods for Water quality analysis of specific species.

ويعد هذا الكتاب من أهم المراجع الشاملة في تحليل الماء.

طبيعة البيئة

Goudi, A / The Nature of Environment. London: Johan willy, 1984, 500 P.

صدر هذا الكتاب عن دار نشر جون وايلي في منتصف يونيو ١٩٨٤ ويقع في حوالى ٥٠٠ صفحة. والكتاب يدرس بشكل مركز طبيعة البيئة ويتميز بأنه مكتوب بأسلوب واضح وباحتوائه على كثير من الرسوم التوضيحية والمراجع الحديثة.

ويوضح هذا الكتاب التكامل بين مختلف عناصر البيئة ويبين كيف ان المناخ يساعد على تشكيل البيئة كما أنه يتأثر بالتغيرات المختلفة على سطح الأرض. ويبين الكتاب مدى العلاقة والتفاعل بين الانسان والطبيعة موضحاً أن القدرة على تغيير العمليات الطبيعية ليس بالضروري أن يكون مماثلاً على التحكم فيها.

ويغطي الكتاب معظم التطورات والبحوث في نظرية الأطباق المتحركة Plate tectonics ، والتغيرات البيئية في عصر اللبستوسين، وتقسيمات التربة في العالم، والأنظمة البيئة وهيدرولوجية أحواض التصريف المائية.

ويدرس الكتاب البيئة من مقياس عالمي (مثل الملامح التركيبية العالمية، التغيرات العالمية في المناخ ومستوى سطح البحر) بالاضافة إلى المقياس النطاقي (مثل البيئات القطبية، والصحراوية والاستوائية الرطبة) وكذلك بالمقاييس المحلية (مثل قطاعات التربة، الأنظمة البيئية البسيطة المدن وأحواض التصريف المائية).

ويختتم المؤلف كتابه بدليل تفصيلي لمزيد من المراجع في هذا الموضوع الحيوي مرتبة حسب الموضوع . ويحتوي الكتاب على اكثر من ١٧٠ رسماً توضيحياً وبعض الخرائط بالاضافة إلى حوالى ١٠٠ صورة فوتوغرافية لتوضيح ما يود المؤلف أن يبرزه في دراسته القيمة.